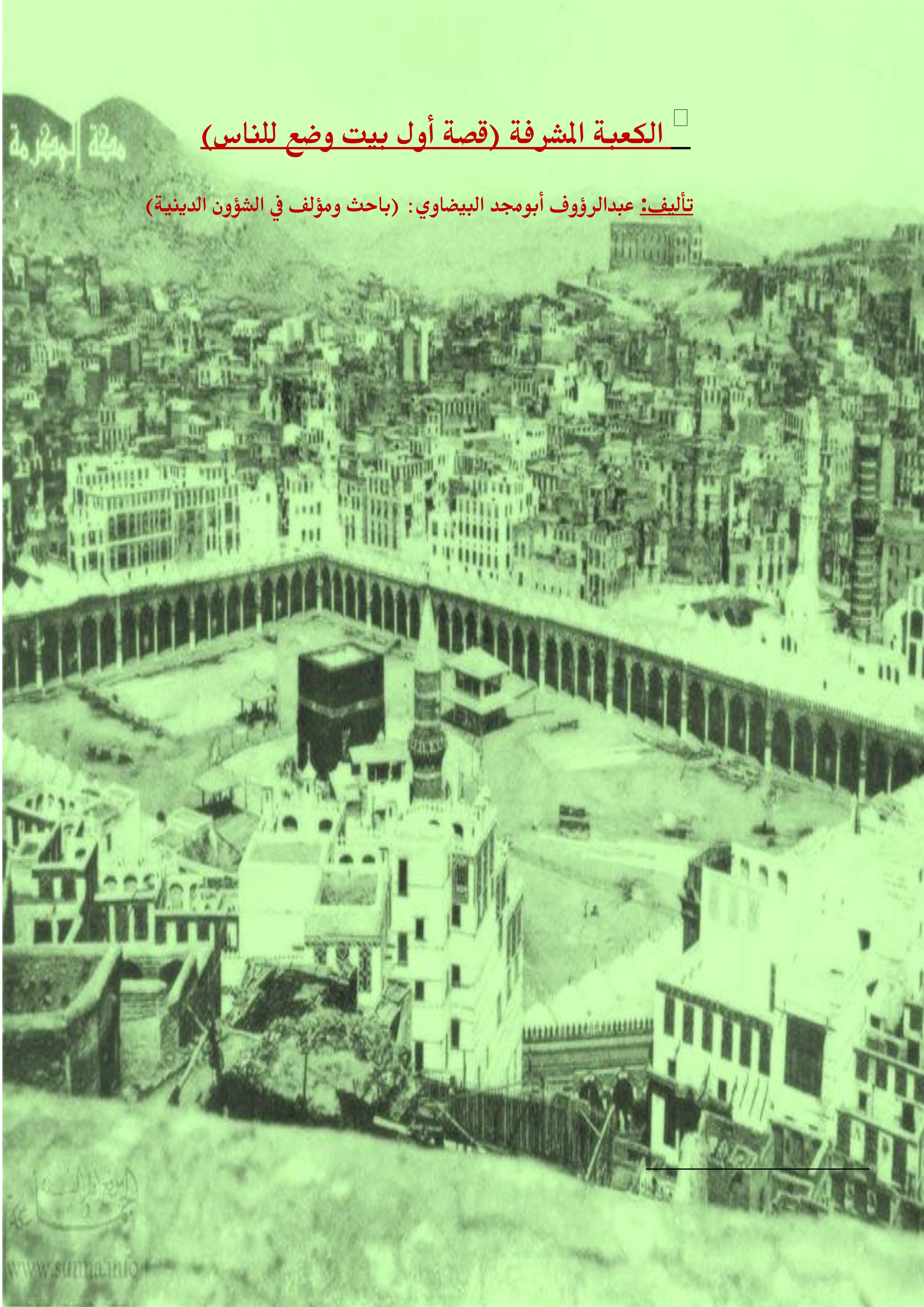


الكعبة المشرفة (قصة أول بيت وضع للناس)

تأليف: عبدالرؤوف أبومجد البيضاوي: (باحث ومؤلف في الشؤون الدينية)

الكعبة المشرفة

قصة أول بيت وضع للناس

تأليف:

- **عبدالرؤوف أبومجد البيضاوي: باحث ومؤلف في الشؤون الدينية**

التعريف بالمؤلف:

عبدالرؤوف أبومجد ابن محمد ابن عيسى البيضاوي, المزداد في 10 رمضان 1374 هجرية الموافق ل 13 ماي 1954ميلادية بمدينة الدارالبيضاء المغرب. حاصل على الإجازة في الحقوق 1978, دارس للشريعة الإسلامية بكلية المحمدية ولاية الدارالبيضاء الكبرى 1994

ظروف وأسباب التأليف

إلى حدود سنة 1993 ميلادية كان اهتمامي بالمجال والتفقه الديني يكاد يكون منعدما, إلا مما أسمعه أثناء خطب الجمعة أو مصادفة درس أو محاضرة عبر وسائل الإعلام المتاحة, أو قراءة بعض الكتب الدينية بدون معرفة أو منهج معين...وكان المذهب المالكي السائد هو المتبع في العبادات كلها, وكان سبب اهتمامي بالمجال الديني أنني كنت أتحدث عبر الهاتف مع أحد الأصدقاء (رحمه الله) بمدينة القنيطرة بالمغرب, حول موضوع عام وشخصي في آن واحد, واستمر النقاش بيننا إلى أن توقف الحوار... ولم يقتنع أحدنا بأدلة الآخر, وساد الصمت لدقائق معدودة ولم نتفوه بأية كلمة, وفجأة نطقنا معا في لحظة واحدة بجملة نعتقد أنها حديث نبوي وهي: "أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد" وافترقنا على هذا القول الديني الذي كان يعني بالنسبة إلي وقتها... العجز التام...بعد نهاية المكالمة الهاتفية لم أشعر إلا وأنا أتجه نحو مكتبتي في البيت والمملوءة بالكتب المتنوعة, لأتناول من بينها القرآن الكريم بتفسير الجلالين, كان قد أهدي إلي منذ سنوات فوضعته في المكتبة... ولأفتحه لأول مرة وأقرأ الفاتحة ولأعرف تفسيرها وأنه حوار بين الله عز وجل وبين العبد ...فإذا قال العبد الحمد لله, قال الله حمدني عبدي.... كانت فاتحة خير من الله عز وجل علي... فاستمر الإهتمام بالكتب الدينية وقراءتها والسماع لدروس المشايخ... وأصبح من الضروري التعلم الديني الأكاديمي, فتم تسجيلي بكلية الشريعة الإسلامية بمدينة المحمدية المغرب (في سنة 1994 م). ثم بعد سنوات... في أكاديمية زاد العلمية ... وكان أول اهتمامي بالبحث في الشؤون الدينية والتأليف من خلال مؤلفات الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ...وأثار انتباهي كتابه المختصر صفة صلاة النبي وأسلوبه في التلخيص لتقديمه إلى العوام المتعلمين, فأعجبت به ودرسته جيدا...فجاءت بفضل الله وتوفيقه فكرة تلخيص جل مؤلفاته في شكل مجلد واحد فتم ذلك بعون الله تحت عنوان :**التلخيصات المبوبة لمؤلفات الألباني المحببة**...ثم تبعه كتاب تلخيص السلسلة الصحيحة تحت عنوان: **الملخصات المليحة للسلسلة الصحيحة**...وتم بعد ذلك تبويب هذه السلسلة بعنوان: **الملخصات المقربة للسلسلة الصحيحة المبوبة** ...ثم كتاب التلخيصات النورانية للشمائل المحمدية(إعادة لتلخيص الشمائل المحمدية للترمذي بتحقيق الشيخ الألباني)

وكان هذا الكتاب الذي بين يدي القراء الكرام هو أول عمل تأليفي مختلف عن أسلوب الملخصات والمختصرات السابقة ...وكان سببه قيامي بعمرة رمضان 1437الماضي(الموافق 2015)برفقة والدتي الحنونة الحبيبة إلى قلبي **مترحي حليمة بنت الجيلالي** وقد بلغت من العمر ثمانين سنة (وذلك بعد خمسة عشرة سنة من حجتي الأولى...)فشدتني محبة الكعبة المشرفة ولاحظت مكوث المئات من المعتمرين أو الحجاج أمام هذا البيت العتيق للساعات الطوال وهم ينظرون إليه بمحبة وخشوع ومحبة وبكاء... وبعد عودتي إلى بلدي المغرب أحببت نفسي الكتابة والتعريف بالكعبة المشرفة وكسوتها البهية في شكل قصة تجدب اهتمام القراء المسلمين

ومن خلالها سيعرفون التاريخ الطويل لهذا البيت القديم الذي تسافر إليه أفئدة المسلمين قبل أبدانهم من مختلف بقاع المسلمين غير عابئين بثعب السفر وتكاليف الحج أوالعمرة..أسال الله العلي العظيم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وان ينفع به المسلمين والمسلمات وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

ملاحظة: تجدر الإشارة إلى أن المراجع التى اعتمدتها في هذا الكتاب قد ذكرتها في موضعها خلال التأليف......

مقدمة المؤلف:

أرى من منظوري الخاص أنه من الجفاء أن نتناول الكعبة المشرفة بالبحث والتأليف قبل أن نذكر فضائل مكة المكرمة زادها **الله** شرفا وتعظيما, فهي أم القرى ومولد **الرسول محمد صلى الله عليه وسلم**, ومهبط وحي **الله** عليه, ومركز الدنيا بكاملها. ومعقل الكعبة المشرفة, وبداية هذا الدين الذي ارتضاه لنا العزيز الحكيم في **قوله تعالى**: "ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" **وقوله تعالى**: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا وعليه فإنني سأذكر بداية وبشكل مختصر فضائل مكة المكرمة مقتبسا رسالة تاريخية قديمة يعود تاريخها للقرن الثاني الهجري للحسن ابن أبي الحسن البصري (المتوفى: 110هـ) (تحقيق: سامي مكي العاني)

.....حدثنا محمد بن علي الحنفي عن أبي هبيرة الباجي قال كتب الحسن بن أبي الحسن البصري رحمة **الله** عليه الى رجل من الزهاد يقال له عبد الرحيم أو عبد الرحمن بن أنس الرمادي كان يسكن مكة شرفها **الله تعالى** وكان له فضل ودين وذكر ولم يكن له في الدنيا عمل الا عبادة **الله تعالى** وانه أراد الخروج من مكة الى اليمن فبلغ ذلك الحسن وكان يواخيه في **الله تعالى** فكتب اليه كتابا يرغبه في المقام بمكة زادها **الله** شرفا وتعظيما:

.... إياك ثم إياك يا أخي والخروج من مكة المكرمة والانزعاج عنها فانك في خير أرض وأحب أرض **الله تعالى اليه** وأفضلها وأعظمها قدرا وأشرفها عنده... قال **الله تعالى** {وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر} وقال **تعالى** {بلدة طيبة ورب غفور} واعلم يا أخي أن **رسول الله صلى الله عليه وسلم** قال حين خرج من مكة وقف على الحزورة واستقبل الكعبة وقال: (و**الله** إني لأعلم أنك أحب بلد **الله** إلي وأنك أحب أرض **الله الى الله عز وجل** وانك خير بقعة على وجه الأرض وأحبها الى **الله تعالى** ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت) **وقال صلى الله عليه وسلم** في حديث آخر: (خير بلدة على وجه الأرض وأحبها الى الله تعالى مكة) **وقال صلى الله عليه وسلم:** (دحيت الأرض من مكة فمدها الله تعالى من تحتها فسميت أم القرى) .... وكل نبي من **الانبياء عليهم الصلاة والسلام** اذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم الى مكة, وما من نبي هرب من أمته الا هرب الى مكة فعبد **الله تعالى** بها عند الكعبة حتى أتاه اليقين وهو الموت.... وما على وجه الأرض بلدة يرفع **الله** فيها الحسنة الواحدة غاية ألف حسنة إلا مكة, ومن صلى فيها صلاة رفعت له مائة ألف صلاة, ومن صام فيها كتب له صوم مائة ألف يوم, ومن تصدق فيها بدرهم كتب **الله** له مائة ألف درهم صدقة, ومن ختم فيها القرآن مرة واحدة كتب له مائة ألف ختمة, وكل أعمال البر فيها كل واحدة بمائة ألف. وما أعلم بلدة يحشر **الله تعالى** فيها يوم القيامة من **الأنبياء** والأصفياء والأتقياء والأبرار والصديقين والشهداء والصالحين والعلماء والفقهاء والفقراء والحكماء والزهاد والعباد والنساك والأخيار والأحبار من الرجال والنساء ما يحشر **الله تعالى** من مكة وإنهم يحشرون وهم آمنون من عذاب **الله تعالى**, وليوم واحد في حرم **الله تعالى** وأمنه أرجى لك وأفضل من صيام الدهر كله وقيامه في غيرها من البلدان...... وما على وجه الأرض بقعة ينزلها كل يوم من عند **الله تعالى** عشرون ومائة رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين الى الكعبة إلا مكة..... وما على وجه الأرض بلدة أبواب الجنة كلها مفتوحة اليها الا مكة, وان أبواب الجنة لثمانية, أبواب كلها منفتحة اليها بمكة الى يوم القيامة. وما على وجه الأرض بلدة يستجاب فيها الدعاء في خمسة عشر موضعا إلا مكة....

ألا إن أهل مكة هم أهل **الله تعالى** وجيران بيته، وما على وجه الأرض بلدة فيها شراب الأبرار، ومصلى الأخيار إلا بمكة.(قيل لابن عباس رضي **الله** عنهما ما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب. فقيل له: ما شراب الأبرار؟ قال: ماء زمزم......



منظر علوي لمكة المكرمة وللحرم المكي / 1368هـ

مدخل:

– **الكعبة بيت الله الحرام** , في قلب **مكة المكرمة** , وهي القبلة لتي يحج إليها الناس والأنبياء والملائكة , منذ أقدم العهود التاريخية , **فهي أقدم بيت وضعه الله تعالى للناس** , وكانوا يعقدون فيها الاتفاقيات ويتحالفون فيها , وذكروا أن المعلقات السبع كانت معلقة بالكعبة، وذلك أن العرب كانوا إذا عمل أحدهم قصيدة عرضها على قريش، فإن أجازوها علقوها على الكعبة تعظيما لشأنها، فاجتمع من ذلك هذه المعلقات السبع، فالأولى لامرئ القيس بن حجر الكندي ومن تبعه من الشعراء .....

الصخور الجبلية التي بنيت بها الكعبة

– **والكعبة المشرفة** مبنية من سبعة وعشرين مدماكا من الصخور الجبلية , ويقال أن **ابراهيم عليه السلام** بنى الكعبة من صخور من خمسة جبال هي : حراء وثبير والخير ولبنان وهي من جبال مكة وجبل الطور بصحراء سيناء شرق مصر .

– قوله عز وجل: {إن أول بيت وضع للناس} [آل عمران: 96] ، وما جاء في ذلك

– قال أبو الوليد المعروف بالأزرقي (من كتاب: أخبار مكة, (تحقيق أ\د عبد الملك بن عبد الله بن دهيش)........... أخبرني ابن جريج، قال: بلغنا أن اليهود قالت: بيت المقدس أعظم من الكعبة؛ لأنه مهاجر الأنبياء، ولأنه في الأرض المقدسة. وقال المسلمون: الكعبة أعظم. فبلغ ذلك **النبي صلى الله عليه وسلم**، فنزل: {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا} [آل عمران: 96] حتى بلغ: {فيه آيات بينات مقام إبراهيم} [آل عمران: 97] ، وليس ذلك في بيت المقدس، {ومن دخله كان آمنا} [آل عمران: 97] ، وليس ذلك في بيت المقدس " إسناده حسن

– وفي (تفسير ابن جرير الطبري) قال أبو جعفر: .... عن أبي رجاء قال، سأل حفص الحسن وأنا أسمع عن قوله **تعالى**: {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا } قال، هو أول مسجد عبد الله فيه في الأرض.

– **وقال الله تعالى**: { وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (27) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير(28) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق} (29) (سورة الحج) (من تفسير ابن جرير الطبري) قال أبو جعفر: وقوله : (..وليطوفوا بالبيت العتيق) أي وليطوفوا ببيت الله الحرام (يعني الكعبة)

– ما جاء في أسماء الكعبة المشرفة ولم سميت الكعبة؟ وأن لا يبنى بيت يشرف عليها

– اسماء الكعبة المشرفة في القرآن الكريم وأسماء أخرى

*الكعبة قال تعالى (هديا بالغ الكعبة)

*البيت المبارك قال تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا)

*بيت الله قال تعالى (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين)

*البيت الحرام قال تعالى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس)

*البيت العتيق : قال تعالى (وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق)

*القبلة المرضية : قال تعالى (فلنولينك قبلة ترضاها)

*البيت المحرم (أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم)

* بكة : قال تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة)

أسماء أخرى : مثل قادس وناذر والقرية القديمة.....

– قال الأزرقي ....عن ابن جريج، عن مجاهد قال: «من أسماء مكة هي مكة، وهي بكة، وهي، أم رحم، وهي أم القرى، وهي صلاح، وهي كوثى، وهي الباسة، ....وأول من أذن بمكة حبيب بن عبد الرحمن»إسناده حسن

لم يكن أهل مكة يستطيلون البناء على الكعبة وأصل إسم الكعبة

كان أهل مكة يعظمون هذا البيت حتى أنهم لم يكونوا يستطيلون عليه في البناء , وكانوا يبنون بيوتهم على الشكل الدائري تعظيما لرباعية الكعبة. وسميت بهذا الاسم لأنها مربعة الشكل، والتكعيب هو التربيع، والكعبة كل بيت مربع الجوانب. وقيل: سميت بذلك لاستدارتها، والتكعب معناه الاستدارة. وقيل: لأجل علوها وارتفاعها، والكعبة من الكعب، والكعب هو كل شيء علا وارتفع،

جاء في "أنيس الفقهاء": "الكعبة: البيت الحرام، يقال :سميت بذلك لتربيعه، والتربيع جعل الشيء مربعا"(قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي) وفي "المفردات" للراغب: "الكعبة: كل بيت على هيئته في التربيع، وبها سميت الكعبة" وفي "النهاية" لابن الأثير:

"كل شيء علا وارتفع فهو كعب، ومنه سميت الكعبة للبيت الحرام، وقيل: سميت بها لتكعيبها، أي تربيعها"

وفي "الإعلام بفوائد عمدة الأحكام" لابن الملقن: "سميت بذلك لاستدارتها، من التكعب وهو الاستدارة، وهذا مما يدل على أن القبلة التي روي النهي عنها أي عن استقبالها حال قضاء الحاجة هي الكعبة".(من موقع قصة الإسلام – إشراف د/ راغب السرجاني)

– قال الأزرقي..... عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، قال: «إنما سميت الكعبة؛ لأنها مكعبة على خلقة الكعب» قال " وكان الناس يبنون بيوتهم مدورة تعظيما للكعبة فأول من بنى بيتا مربعا حميد بن زهير فقالت قريش: ربع حميد بن زهير بيتا، إما حياة وإما موتا "إسناده صحيح

– قال الأزرقي.......عن أبي عوانة، عن مغيرة، عن إبراهيم قال: «بكة موضع البيت، ومكة القرية»إسناده حسن لغيره

– اختلف أهل التأويل في معنى قوله : (العتيق) في هذا الموضع بعضهم قال: قيل ذلك لبيت الله الحرام ، لأن الله أعتقه من الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه وهدمه (قول: الزبيرومجاهد وقتادة)

– قال الأزرقي:..... ويروى عن عبد الله بن الزبير، أنه كان يقول: «سمي البيت العتيق؛ لأنه عتق من الجبابرة أن يسطوا عليه» إسناده حسن لغيره.

– قال الأزرقي......... عن مجاهد قال: " البيت العتيق أعتقه الله عز وجل من كل جبار فلا يستطيع جبار يدعي أنه له، ولا يقال: بيت فلان ولا ينسب إلا إلى الله عز وجل "إسناده حسن(وقول لمجاهد).قيل له (عتيق) ، لأنه لم يملكه أحد من الناس أو لأنه ليس لأحد فيه شيء . قال أبو جعفر: ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه في قوله : (البيت العتيق) وجه صحيح

- مفتاح وقفل باب الكعبة المشرفة

ولقد كان لباب الكعبة قفل قديم: يعود تاريخه إلى عهد السلطان عبد الحميد سنة (1309 هـ)، وله مفتاح طوله 40 سم موضوع في حقيبة حريرية مطرزة بالذهب ومكتوب عليها { إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها } , ومفتاح الكعبة عهدة منذ الجاهلية وحتى اليوم عند بني شيبة , وحين أريد تغيير القفل تمت صناعة آخر جديد و ذلك بنفس مواصفات القفل القديم بما يناسب التصميم الخاص بالباب الجديد، مع زيادة ضمانة الإغلاق دون الحاجة إلى صيانة.



مفتاح الكعبة قديما



قفل قديم لباب الكعبة المشرفة



القفل الجديد

- موقع مكة المكرمة حسب خارطة أقاليم جغرافية الأرض في العالم:

مكة المكرمة هي الوسط الهندسي للأرض.

ففي بحث للإعجاز العلمي تأكد أن مكة المكرمة هي الوسط الهندسي للأرض، لذلك هناك العالم القديم، آسيا، أوربا، إفريقيا، أقينوسيا، والعالم الجديد أمريكا، المدن التي في أقصى أطراف العالم القديم تبعد عن مكة المكرمة 8500 كم، ، فمكة في وسط العالم القديم، فإذا أضفنا إلى العالم القديم العالم الحديث تبعد مكة عن أي مكان كوسط هندسي في العالمين القديم والحديث 13500 كم، ولا يقابلها في الطرف الآخرأية مدينة، بل لا يقابلها يابسة أصلا،بل يقابلها المحيط الهادي. (البحث مودع في جامعة في القاهرة

الباب الأول: تاريخ بناء الكعبة المشرفة

الفصل الأول: بناء الكعبة المشرفة قديما

المبحث الأول: ذكر ما كانت الكعبة الشريفة عليه فوق الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض، وما جاء في ذلك

– قال الأزرقي.............: حدثنا سفيان بن عيينة، عن بشر بن عاصم، عن سعيد بن المسيب قال: قال كعب الأحبار: «كانت الكعبة غثاء على الماء قبل أن يخلق الله عز وجل السموات والأرض بأربعين سنة، ومنها دحيت الأرض» (صحيح الإسناد) وذكره السيوطي في الدر المنثور)

– _قال الأزرقي.........: عن مجاهد، قال: «لقد خلق **الله عز وجل** موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرض بألفي سنة، وإن قواعده لفي الأرض السابعة السفلى» (حسن لغيره)

المبحث الثاني: ما جاء في رفع البيت المعمور زمن الغرق، وما جاء فيه

– قال الأزرقي........ عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: " بلغني أنه لما خلق **الله عز وجل** السموات والأرض كان أول شيء وضعه فيها البيت الحرام، وهو يومئذ ياقوتة حمراء جوفاء لها بابان: أحدهما شرقي، والآخر غربي، فجعله مستقبل البيت المعمور، فلما كان زمن الغرق رفع في ديباجتين، فهو فيهما إلى يوم القيامة، واستودع **الله عز وجل** الركن، أبا قبيس " إسناده حسن

– قال: وقال ابن عباس: «كان ذهبا فرفع زمان الغرق، وهو في السماء» إسناده حسن



حجر الكعبة المشرفة قديما وبدون كسوة



حجر الكعبة المشرفة حديثا

الفصل الثاني: اختلاف المصادر في أول من بناها

اختلف العلماء في تاريخ بناء الكعبة، هل بنيت من طرف **الملائكة ؟** أو في زمن آدم عليه السلام؟، أم في زمن ابنه **شيث عليه السلام**؟، أم في زمن **الخليل إبراهيم عليه السلام**؟، أم في أزمنة أخرى غير ما ذكرنا؟

المبحث الأول: ذكر بناء الملائكة الكعبة قبل خلق آدم وطوافهم بها

– فمن العلماء من يقول: إن الملائكة هم أول من بنى الكعبة؛ أي قبل **آدم عليه السلام**، فيكون تاريخ بناء الكعبة سابقا لزمن **آدم عليه السلام**؛

– قال الأزرقي........ عن ابن جريج، عن صفوان بن سليم، عن كريب مولى ابن عباس، عن ابن عباس قال: قال **رسول الله صلى الله عليه وسلم**: «البيت الذي في السماء يقال له الضراح، وهو مثل بناء هذا البيت الحرام، ولو سقط لسقط عليه، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون فيه أبدا» إسناده حسن

– قال الأزرقي.........: حدثني سفيان بن عيينة، عن ابن أبي حسين، عن أبي الطفيل، قال: سأل ابن الكواء عليا رضي الله عنه: ما البيت المعمور؟ قال: «هو الضراح، وهو حذاء هذا البيت، وهو في السماء السادسة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبدا» إسناده صحيح

– قال الأزرقي.........: حدثنا سفيان بن عيينة، بنحوه، إلا أنه قال: «في السماء السابعة» وقال: «لا يعودون إليه أبدا إلى يوم القيامة» (إسناده صحيح)

– قال الأزرقي......... عن أبي الطفيل، قال: شهدت عليا رضي الله عنه، وهو يخطب، وهو يقول: «سلوني، **فوالله** لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به، وسلوني عن كتاب **الله، فوالله** ما منه آية إلا وأنا أعلم أنها بليل نزلت أم بنهار، أم بسهل نزلت أم بجبل» فقام ابن الكواء، وأنا بينه وبين علي رضي الله عنه، وهو خلفي، قال: أفرأيت البيت المعمور، ما هو؟ قال: «ذاك الضراح فوق سبع سموات تحت العرش يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه إلى يوم القيامة»(إسناده صحيح)

وجاء في تفسير البغوي:

"روي عن علي بن الحسين: أن **الله تعالى** وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وأمر الملائكة أن يطوفوا به، ثم أمر الملائكة الذين هم سكان الأرض أن يبنوا في الأرض بيتا على مثاله وقدره، فبنوه واسمه الضراح، وأمر من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور.

وروي: أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفي عام، وكانوا يحجونه، فلما حجه آدم قالت الملائكة: بر حجك يا آدم، حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام...."(البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن)

– قال الأزرقي.........: أخبرني عثمان بن يسار، قال: بلغني **والله أعلم أن الله تعالى إذا أراد أن** يبعث ملكا من الملائكة لبعض أموره في الأرض استأذنه ذلك الملك في الطواف بالبيت فهبط الملك مهلا " (حسن) (ذكره السيوطي في الدر المنثور)

المبحث الثاني: ذكر هبوط آدم إلى الأرض وبنائه الكعبة، وحجه، وطوافه بالبيت ودعائه لذريته

– قال الأزرقي.........: أخبرني محمد بن إسحاق، قال: بلغني أن «آدم، عليه السلام لما أهبط الأرض حزن على ما فاته مما كان يرى، ويسمع في الجنة من عبادة **الله**، فبوأ **الله** له البيت الحرام، وأمره بالسير إليه، فسار إليه لا ينزل منزلا إلا فجر الله له ماء معينا، حتى انتهى إلى مكة، فأقام بها يعبد **الله** عند ذلك البيت، ويطوف به فلم تزل داره حتى قبضه **الله** بها» إسناده حسن

– قال الأزرقي......... عن عثمان بن ساج، قال: " حدثت أن آدم عليه السلام خرج حتى قدم مكة، فبنى البيت، فلما فرغ من بنائه، قال: أي رب إن لكل أجير أجرا، وإن لي أجرا، قال: نعم فاسألني، قال: أي رب تردني من حيث أخرجتني، قال: نعم ذلك لك، قال: أي رب ومن خرج إلى هذا البيت من ذريتي يقر على نفسه بمثل الذي قررت به من ذنوبي، أن تغفر له، قال: نعم، ذلك لك " إسناده حسن

"واستدل الأزرقي في بناء **آدم عليه السلام** للكعبة، بخبرين رواهما ابن عباس رضي الله عنهما؛ أحدهما: أنه بناه من خمسة أجبل. والآخر: كان **آدم عليه السلام** أول من أسس البيت وصلى فيه..."(دراسة الفاسي، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني)

المبحث الثالث: ذكر سنة طواف وحج آدم عليه السلام

– قال الأزرقي......... ، عن عبد الله بن أبي سليمان مولى بني مخزوم، أنه قال: " طاف آدم عليه السلام سبعا بالبيت حين نزل، ثم صلى تجاه باب الكعبة ركعتين، ثم أتى الملتزم، فقال: اللهم إنك تعلم سريرتي، وعلانيتي، فاقبل معذرتي، وتعلم ما في نفسي، وما عندي فاغفر لي ذنوبي، وتعلم حاجتي، فأعطني سؤلي، اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي، والرضا بما قضيت علي، قال: فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم قد دعوتني بدعوات فاستجبت لك، ولن يدعوني بها أحد من ولدك إلا كشفت غمومه، وهمومه، وكففت عليه ضيعته، ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغناء بين عينيه، وتجرت له من وراء تجارة كل تاجر، وأتته الدنيا وهي راغمة، وإن كان لا يريدها، قال: فمذ طاف آدم عليه السلام كانت سنة الطواف " إسناده حسن

– قال الأزرقي......... عن سفيان بن عيينة، عن الحرام بن أبي لبيد المدني، قال: " حج آدم عليه السلام فلقيته الملائكة، فقالوا: يا آدم بر حجك، قد حججنا قبلك بألفي عام " إسناده صحيح

– قال الأزرقي.........: أخبرني سعيد أن آدم عليه السلام حج على رجليه سبعين حجة ماشيا، وأن الملائكة لقيته بالمازمين، فقالوا: بر حجك يا آدم، إنا قد حججنا قبلك بألفي عام " إسناده حسن

– ومن العلماء من قال: إن من بنى الكعبة ولد **آدم شيث عليهما السلام**، قال السهيلي في "روض الأنف": إن أول من بنى البيت **شيث عليه السلام.**

– وقال أبو الوليد (المعروف بالأزرقي) بسنده عن وهب بن منبه أن بني **آدم عليه السلام** بنوا البيت بالطين والحجارة بعد موت أبيهم.

المبحث الرابع: ذكر أن إبراهيم عليه السلام هو أول من بنى الكعبة أو رفع قواعدها فقط

– ومن العلماء من قال: إن **إبراهيم عليه السلام** هو أول من بنى الكعبة المشرفة؛ وذلك بدلالة الكتاب والسنة الصريحة، قال **تعالى**: {وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل}[البقرة: 127]، **وفي** صحيح البخاري أنه قال **الخليل لابنه إسماعيل عليهما السلام**: (فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها). وقال الراوي: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت.

المبحث الخامس: أمر الكعبة بين نوح، وإبراهيم عليهما السلام

– قال الأزرقي......... ، عن ابن جريج، عن مجاهد، أنه قال: كان موضع الكعبة قد خفي، ودرس في زمن الغرق فيما بين **نوح وإبراهيم عليهما السلام**، قال: وكان موضعه أكمة حمراء مدرة لا تعلوها السيول غير أن الناس يعلمون أن موضع البيت فيما هنالك، ولا يثبت موضعه، وكان يأتيه المظلوم، والمتعوذ من أقطار الأرض، ويدعو عنده المكروب، فقل من دعا هنالك إلا استجيب له، وكان الناس يحجون إلى موضع البيت حتى بوأ الله مكانه **إبراهيم عليه السلام** لما أراد من عمارة بيته، وإظهار دينه وشرائعه، فلم يزل منذ أهبط **الله آدم عليه السلام** إلى الأرض معظما محرما بيته تتناسخه الأمم، والملل أمة بعد أمة، وملة بعد ملة "، قال: «وقد كانت الملائكة تحجه قبل آدم عليه السلام» إسناده صحيح .

المبحث السادس: ما ذكر من تخير إبراهيم عليه السلام موضع البيت الحرام من الأرض

– قال الأزرقي......... عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: " بلغني – والله أعلم – أن **إبراهيم خليل الله تعالى** عرج به إلى السماء، فنظر إلى الأرض مشارقها ومغاربها، فاختار موضع الكعبة، فقالت له الملائكة: يا خليل **الله** اخترت **حرم الله تعالى** في الأرض، قال: فبناه من حجارة سبعة أجبل، قال: ويقولون: خمسة، وكانت الملائكة تأتي بالحجارة إلى إبراهيم من تلك الجبال " إسناده حسن

الفصل الثالث: ما جاء في إسكان إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه هاجر في بدء أمره عند البيت الحرام كيف كان

المبحث الأول: خروج إبرهيم ع وزوجته هاجر وابنه إسماعيل من الشام نحو مكان البيت الحرام

– قال الأزرقي......... عن مجاهد: «أن الله تعالى لما بوأ لإبراهيم مكان البيت خرج إليه من الشام، وخرج معه ابنه إسماعيل، وأمه هاجر، وإسماعيل طفل يرضع، وحملوا فيما يحدثني على البراق» إسناده حسن

– قال الأزرقي......... عن سعيد بن جبير، قال حدثنا عبد الله ابن عباس، أنه حين كان بين أم إسماعيل بن إبراهيم، وبين سارة امرأة إبراهيم ما كان، أقبل إبراهيم عليه السلام بأم إسماعيل وإسماعيل، وهو صغير ترضعه حتى قدم بهما مكة، ومع أم إسماعيل شنة فيها ماء تشرب منها، وتدر على ابنها، وليس معها زاد " يقول سعيد بن جبير: قال ابن عباس: " فعمد بهما إلى دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد – يشير لنا بين البير وبين الصفة – يقول: فوضعهما تحتها، ثم توجه إبراهيم خارجا على دابته، واتبعت أم إسماعيل أثره حتى أوفى إبراهيم بكدا يقول ابن عباس: فقالت له أم إسماعيل: إلى من تتركها وابنها؟ قال: إلى الله عز وجل، قالت: رضيت بالله، فرجعت أم إسماعيل تحمل ابنها، حتى قعدت تحت الدوحة، فوضعت ابنها إلى جنبها، وعلقت شنتها تشرب منها، وتدر على ابنها، حتى فني ماء شنتها، فانقطع درها فجاع ابنها، فاشتد جوعه، حتى نظرت إليه أمه يتشحط، قال: فحسبت أم إسماعيل أنه يموت فأحزنها. يقول ابن عباس: قالت أم إسماعيل: لو تغيبت عنه حتى لا أرى موته، يقول ابن عباس: فعمدت أم إسماعيل إلى الصفا حين رأته مشرفا، تستوضح عليه، أي ترى أحدا بالوادي، ثم نظرت إلى المروة، ثم قالت: لو مشيت بين هذين الجبلين تعللت حتى يموت الصبي، ولا أراه، قال ابن عباس: فمشت بينهما أم إسماعيل ثلاث مرات، أو أربع، ولا تجيز بطن الوادي في ذلك إلا رملا، يقول ابن عباس: «ثم رجعت أم إسماعيل إلى ابنها، فوجدته ينشغ كما تركته فأحزنها، فعادت إلى الصفا تتعلل حتى يموت، ولا تراه فمشت بين الصفا والمروة كما مشت أول مرة» يقول ابن عباس: " حتى كان مشيها بينهما سبع مرات، قال ابن عباس: قال أبو القاسم صلى الله عليه

وسلم: «فلذلك طاف الناس بين الصفا والمروة» ، قال: فرجعت أم إسماعيل تطالع ابنها فوجدته كما تركته ينشغ ، فسمعت صوتا قد آب عليها ، ولم يكن معها أحد غيرها ، فقالت: قد أسمع صوتك فأغثني إن كان عندك خير، قال: فخرج لها جبريل عليه السلام، فاتبعته حتى ضرب برجله مكان البئر، يعني زمزم، فظهر ماء فوق الأرض حيث فحص جبريل " يقول ابن عباس: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: «فحاضته أم إسماعيل بتراب ترده خشية أن يفوتها قبل أن تأتي بشنتها، فاستقت وشربت، ودرت على ابنها» إسناده صحيح (تحقيق عبدالله بن دهيش)

– قال الأزرقي......... عن عثمان بن ساج، قال: أخبرني محمد بن إسحاق، قال: " بلغني أن ملكا، أتى هاجر أم إسماعيل حين أنزلها إبراهيم بمكة، قبل أن يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت، فأشار لها إلى البيت، وهو ربوة حمراء مدرة، فقال لها: هذا أول بيت وضع للناس في الأرض، وهو بيت الله العتيق، واعلمي أن إبراهيم وإسماعيل يرفعانه للناس " وقال ابن جريج: " َبلغني أن جبريل عليه السلام حين هزم بعقبة في موضع زمزم، قال لأم إسماعيل: وأشار لها إلى موضع البيت، هذا أول بيت وضع للناس، وهو بيت الله العتيق

، واعلمي أن إبراهيم وإسماعيل يرفعانه للناس، ويعمرانه فلا يزال معمورا، محرما، مكرما إلى يوم القيامة. إسناده حسن

– قال ابن جريج: فماتت أم إسماعيل قبل أن يرفعه إبراهيم وإسماعيل، ودفنت في موضع الحجر " إسناده حسن

المبحث الثاني: ما ذكر من نزول جرهم مع أم إسماعيل في الحرم

– قال الأزرقي......... عن ابن عباس، قال: " لما أخرج الله ماء زمزم لأم إسماعيل، فبينا هي على ذلك، إذ مر ركب من جرهم قافلين من الشام في الطريق السفلى، فرأى الركب الطير على الماء، فقال بعضهم: ما كان بهذا الوادي من ماء، ولا أنيس، يقول ابن عباس: فأرسلوا جريين لهم حتى أتيا أم إسماعيل، فكلماها، ثم رجعا إلى ركبهما فأخبراهم بمكانها، قال: فرجع الركب كلهم حتى حيوها، فردت عليهم، وقالوا: لمن هذا الماء؟ قالت أم إسماعيل: هو لي، قالوا لها: أتأذنين لنا أن ننزل معك عليه ؟ قالت: نعم "، يقول ابن عباس: قال **أبو القاسم صلى الله عليه وسلم**: «ألقى ذلك أم إسماعيل وقد أحبت الإنس» فنزلوا وبعثوا إلى أهاليهم فقدموا إليهم وسكنوا تحت الدوح، واعترشوا عليها العرش فكانت معهم هي وابنها، حتى ترعرع الغلام ونفسوا فيه وأعجبهم، وتوفيت أم إسماعيل وطعامهم الصيد يخرجون من الحرم ويخرج معهم إسماعيل فيصيد، فلما بلغ أنكحوه جارية منهم قال: وهي في كتاب المبتدأ عن عباد بن سلمة عن محمد بن إسحاق اسم امرأة إسماعيل عمارة بنت سعيد بن أسامة، يقول ابن عباس: " فأقبل إبراهيم من الشام يقول: حتى أطالع تركتي فأقبل إبراهيم عليه السلام حتى قدم مكة فوجد امرأة إسماعيل فسألها عنه فقالت: هو غائب، ولم تلن له في القول فقال لها إبراهيم: قولي لإسماعيل: قد جاء بعدك شيخ كذا وكذا وهو يقرأ عليك السلام ويقول لك: غير عتبة بيتك، فإني لم أرضها ". يقول ابن عباس: " وكان إسماعيل عليه السلام كلما جاء سأل أهله هل جاءكم أحد بعدي؟ فلما رجع سأل أهله فقالت امرأته: قد جاء بعدك شيخ فنعتته له فقال له إسماعيل: قلت له شيئا قالت: لا قال: فهل قال لك من شيء؟ قالت: نعم، اقرئي عليه السلام وقولي له غير عتبة بيتك، فإني لم أرضها لك. قال إسماعيل: أنت عتبة بيتي، فارجعي إلى أهلك. فردها إسماعيل إلى أهلها فانكحوه امرأة أخرى، يقول ابن عباس: ثم لبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ثم رجع إبراهيم فوجد إسماعيل غايبا ووجد امرأته الأخرى فوقف فسلم فردت عليه السلام واستنزلته وعرضت عليه الطعام والشراب فقال: ما طعامكم وشرابكم؟ قالت: اللحم والماء. قال: هل من حب أو غيره من الطعام؟ قالت: لا، قال: بارك الله لكم في اللحم والماء، قال ابن عباس: يقول **رسول الله صلى الله عليه وسلم**: «لو وجد عندها يومئذ حبا لدعا لهم بالبركة فيه فكانت أرضا ذات زرع» ، ثم ولى إبراهيم عليه السلام وقال: قولي له: قد جاء بعدك شيخ فقال: إني وجدت عتبة بيتك صالحة فاقررها. فرجع إسماعيل عليه السلام إلى أهله فقال: هل جاءكم بعد أي أحد؟ فقالت: نعم، قد جاء بعدك شيخ كذا وكذا قال: فهل عهد إليكم من شيء؟ قالت: نعم، يقول: إني وجدت عتبة بيتك صالحة فاقررها " إسناده حسن

– قال الأزرقي......... عن سعيد بن جبير، قال: حدثنا عبد الله بن عباس، قال: " لبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم جاء الثالثة، فوجد إسماعيل عليه السلام قاعدا تحت الدوحة التي بناحية البير، يبري نبلا أو نبالا له، فسلم عليه، ونزل إليه فقعد معه، فقال إبراهيم: يا إسماعيل إن **الله تعالى** قد أمرني بأمر، فقال له إسماعيل: فأطع ربك فيما أمرك، فقال إبراهيم: يا إسماعيل أمرني ربي أن أبني له بيتا، قال له إسماعيل: وأين؟ يقول ابن عباس: " فأشار له إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، عليها رضراض من حصباء يأتيها السيل من نواحيها، ولا يركبها، يقول ابن عباس: فقاما يحفران عن القواعد، ويحفرانها، ويقولان: ربنا تقبل منا إنك سميع الدعاء، ربنا تقبل منا إنك السميع العليم، ويحمل له إسماعيل الحجارة على رقبته، ويبني الشيخ إبراهيم، فلما ارتفع البناء، وشق على الشيخ إبراهيم

تناوله قرب له إسماعيل هذا الحجر، يعني المقام، فكان يقوم عليه، ويبني ويحوله في نواحي البيت حتى انتهى إلى وجه البيت، يقول ابن عباس: فلذلك سمي مقام إبراهيم لقيامه عليه " إسناده حسن

– قال الأزرقي......... عن سعيد بن جبير، في حديث حدث به طويل عن ابن عباس، قال: «فجاء إبراهيم وإسماعيل يبري نبلا له أو نباله تحت الدوحة قريبا من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بولده، والولد بوالده» . قال معمر: وسمعت رجلا يقول: «بكيا حتى أجابتهما الطير» قال سعيد: " فقال: يا إسماعيل، إن

الله عز وجل قد أمرني بأمر، قال: فأطع ربك فيما أمرك، قال: وتعينني، قال: وأعينك، قال: فإن الله تعالى قد أمرني أن أبني له بيتا هاهنا، فعند ذلك رفع إبراهيم القواعد من البيت إسناده حسن

– قال الأزرقي......... عن مجاهد: " أقبل إبراهيم والسكينة، والصرد، والملك من الشام، فقالت السكينة: يا إبراهيم ربض على البيت، فلذلك لا يطوف بالبيت ملك من هذه الملوك، ولا أعرابي نافر إلا رأيت عليه السكينة "،

– قال: وقال ابن جريج«أقبلت معه السكينة لها رأس كرأس الهرة وجناحان» إسناده صحيح

– قال الأزرقي......... عن علي بن أبي طالب، في قوله عز وجل: {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا} [آل عمران: 97] قال: إنه ليس بأول بيت، كان نوح في البيوت قبل إبراهيم وكان إبراهيم في البيوت ولكنه أول بيت وضع للناس فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا هذه الآيات، قال: إن إبراهيم أمر ببناء البيت، فضاق به ذرعا، فلم يدر كيف يبني، فأرسل الله تعالى إليه السكينة، وهي ريح خجوج، لها رأس حتى تطوقت مثل الحجفة، فبنى عليها وكان يبني كل يوم سافا، ومكة يومئذ شديدة الحر، فلما بلغ موضع الحجر، قال لإسماعيل: اذهب، فالتمس حجرا، أضعه هاهنا، ليهدى الناس به، فذهب إسماعيل يطوف في الجبال، وجاء جبريل بالحجر الأسود، وجاء إسماعيل، فقال: من أين لك هذا الحجر؟ قال: من عند من لم يتكل على بنائي وبنائك، ثم انهدم، فبنته العمالقة، ثم انهدم، فبنته قبيلة من جرهم، ثم انهدم، فبنته قريش. فلما أرادوا أن يضعوا الحجر تنازعوا فيه، فقالوا: أول رجل يدخل علينا من هذا الباب، فهو يضعه، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بثوب، فبسط ثم وضعه فيه، ثم قال: ليأخذ من كل قبيلة رجل من ناحية الثوب ثم رفعوه، ثم أخذه **رسول الله صلى الله عليه وسلم** فوضعه " إسناده حسن

– قال الأزرقي......... عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال: «أقبل إبراهيم من أرمينية، معه السكينة تدله، حتى تبوأ البيت كما تبوأت العنكبوت بيتها، فرفعوا عن أحجار الحجر يطيقه أو لا يطيقه ثلاثون رجلا» إسناده حسن

– قال الأزرقي......... عن قتادة، في قوله: {وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل} [البقرة: 127] قال: «التي كانت قواعد البيت قبل ذلك» إسناده صحيح

– قال الأزرقي......... عن بشر بن عاصم، قال: " أقبل إبراهيم من أرمينية، معه السكينة، والملك، والصرد دليلا يتبوأ البيت، كما تبوأت العنكبوت بيتها، فرفع صخرة، فما رفعها عنه إلا ثلاثون رجلا، فقالت السكينة: ابن علي، فلذلك لا يدخله أعرابي نافر، ولا جبار إلا رأيت عليه السكينة "إسناده صحيح

– قال الأزرقي......... عن أبي قلابة، قال: " قال **الله تعالى**: يا آدم إني مهبط معك بيتي، يطاف حوله كما يطاف حول عرشي، ويصلى عنده كما يصلى عند عرشي، فلم يزل كذلك حتى كان زمن الطوفان فرفع، حتى بوأ لإبراهيم مكانه، فبناه من خمسة أجبل من حرا، وثبير، ولبنان، والطور، والجبل الأحمر " إسناده صحيح . .....وعن قتادة،في قوله **عز وجل**: {وإذ يرفع إبراهيم القواعد} [البقرة: 127] ، قال: «ذكر لنا أنه بناه من خمسة أجبل» : من طور سينا، وطور زيتا، ولبنان، والجودي، وحرا، وذكر لنا أن قواعده من حراء " إسناده حسن لغيره

– قال الأزرقي......... عن يوسف بن ماهك، قال: قال عبد الله بن عمرو: «إن جبريل، عليه السلام هو الذي نزل عليه بالحجر من الجنة، وأنه وضعه حيث رأيتم، وأنكم لن تزالوا بخير ما دام بين ظهرانكم، فتمسكوا به ما استطعتم، فإنه يوشك أن يجيء فيرجع به من حيث جاء به» إسناده حسن

– قال الأزرقي......... عن عثمان بن ساج، قال: أخبرني محمد بن إسحاق، قال: " لما أمر إبراهيم خليل الله تعالى أن يبني البيت الحرام، أقبل من أرمينية على البراق، معه السكينة، لها وجه يتكلم، وهي بعد ريح هفافة، ومعه ملك يدله على موضع البيت، حتى انتهى إلى مكة، وبها إسماعيل، وهو يومئذ ابن عشرين سنة، وقد توفيت أمه قبل ذلك، ودفنت في موضع الحجر، فقال: يا إسماعيل إن الله تعالى قد أمرني أن أبني له بيتا، فقال له إسماعيل: وأين موضعه؟ قال: فأشار له الملك إلى موضع البيت، قال: فقاما يحفران عن القواعد، ليس معهما غيرهما، فبلغ إبراهيم الأساس أساس آدم الأول فحفر عن ربض في البيت، فوجد حجارة

عظاما، ما يطيق الحجر منها ثلاثون رجلا، ثم بنى على أساس آدم الأول، وتطوقت السكينة كأنها حية على الأساس الأول، وقالت: يا إبراهيم ابن علي فبنى عليها، فلذلك لا يطوف بالبيت أعرابي نافر، ولا جبار إلا رأيت عليه السكينة، فبنى البيت، وجعل طوله في السماء تسعة أذرع، وعرضه في الأرض اثنين وثلاثين ذراعا من الركن الأسود إلى الركن الشامي الذي عند الحجر من وجهه، وجعل عرض ما بين الركن الشامي إلى الركن الغربي الذي فيه الحجر اثنين وعشرين ذراعا، وجعل طول ظهرها من الركن الغربي إلى الركن اليماني أحدا وثلاثين ذراعا، وجعل عرض شقها اليماني من الركن الأسود إلى الركن اليماني عشرين ذراعا، فلذلك سميت الكعبة لأنها على خلقة الكعب، قال: وكذلك بنيان أساس آدم عليه السلام، وجعل بابها بالأرض غير مبوب حتى كان تبع أسعد الحميري هو الذي جعل لها بابا، وغلقا فارسيا، وكساها كسوة تامة، ونحر عندها. قال: وجعل إبراهيم عليه السلام الحجر إلى جنب البيت عريشا من أراك، يكون خزانة للبيت يلقى فيه تقتحمه العنز، فكان زربا لغنم إسماعيل، قال: وحفر إبراهيم عليه السلام جبا في بطن البيت، على يمين من دخله، ما يهدى للكعبة، وهو الجب الذي نصب عليه عمرو بن لحي، هبل الصنم الذي كانت قريش تعبده، ويستقسم عنده بالأزلام حين جاء به من هيت من أرض الجزيرة. قال: وكان إبراهيم يبني، وينقل له إسماعيل الحجارة على رقبته، فلما ارتفع البنيان، قرب له المقام، فكان يقوم عليه ويبني ويحوله إسماعيل في نواحي البيت، حتى انتهى إلى موضع الركن الأسود، قال إبراهيم لإسماعيل: يا إسماعيل أبغني حجرا أضعه هاهنا يكون للناس علما يبتدئون منه الطواف. فذهب إسماعيل يطلب له حجرا، ورجع وقد جاءه جبريل بالحجر الأسود، وكان الله عز وجل استودع الركن أبا قبيس حين غرق الله الأرض زمن نوح، وقال: إذا رأيت خليلي يبني بيتي فأخرجه له، قال: فجاءه إسماعيل فقال له: يا أبه، من أين لك هذا؟ قال: جاءني به من لم يكلني إلى حجرك جاءك به جبريل، فلما وضع جبريل الحجر في مكانه، وبنى عليه إبراهيم وهو حينئذ يتلألأ تلألؤا من شدة بياضه فأضاء نوره شرقا وغربا ويمنا وشاما، قال: فكان نوره يضيء إلى منتهى أنصاب الحرم من كل ناحية من نواحي الحرم قال: وإنما شدة سواده لأنه أصابه الحريق مرة بعد مرة في الجاهلية، والإسلام. فأما حريقه في الجاهلية، فإنه ذهبت امرأة في زمن قريش تجمر الكعبة فطارت شرارة في أستار الكعبة فاحترقت الكعبة، واحترق الركن الأسود، واسود وتوهنت الكعبة، فكان هو الذي هاج قريشا على هدمها وبنائها. وأما حريقه في الإسلام ففي عصر ابن الزبير أيام حاصره الحصين بن نمير الكندي، احترقت الكعبة واحترق الركن فتفلق بثلاث فلق حتى شد شعبه ابن الزبير بالفضة فسواده لذلك، قال: ولولا ما مس الركن من أنجاس الجاهلية وأرجاسها ما مسه ذو عاهة إلا شفي إسناده حسن

المبحث الثالث: النصوص الشرعية لبناء الكعبة المشرفة

أمر **الله تعالى** سيدنا **إبراهيم عليه السلام** أن يقوم ببناء الكعبة الشريفة في مكة المكرمة وأعانه في ذلك ابنه سيدنا **اسماعيل** ، لتكون أول بيت يوضع للمسلمين استجاب سيدنا **ابراهيم** لأمر **ربه** و قاما ببناء الكعبة دون توان أو كسل أو خوف ، فقال لابنه: يا بني، إن **الله** قد أمرني أن أبني ها هنا بيتا، فرد عليه بالسمع و الطاعة فقام كل من الأب و ابنه بحفر أساس الكعبة بالمعاول ، وتعاونا مع بعضها في رفع قواعدها ، حيث كان اسماعيل يأتي بالحجارة ، وإبراهيم يبني وما إن ضعف إبراهيم عن رفع الحجارة للأعلى قال لابنه اسماعيل: يا بني، أحضر لي حجرا أضعه تحت قدمي لأتمكن من إتمام ما بدأت به ذهب إسماعيل باحثا عن حجر لوالده إلى ان وجد حجرا أسود اللون ، قدمه لوالده ، فقام عليه إبراهيم وأخذ يبني البيت.



الصخرة التي قام عليها سيدنا ابراهيم ع

وابنه اسماعيل يناوبه إلى أن أتم الاثنان بناء هذا البيت الحرام و الذي جعله **الله تعالى** مثابة للناس وأمنا، ومن ثم وضع الحجر الأسود في موقعه المعروف(ويحكي أن **جبريل** (ع) هو الذي جاء بالحجر الأسود الى سيدنا **إبراهيم عليه السلام**، ولم يكن في بادئ الأمر أسود بل كان أبيضا يتلألأ من شدة البياض وذلك لقول **رسول الله صلى الله عليه وسلم** :(نزل الحجر الأسود من الجنة أشد بياضا من الثلج، فسودته خطايا بني آدم) **السلسلة الصحيحة**, وقد جاء ذلك في **آيات القرآن الكريم** التالية { وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينآ إنك أنت التواب الرحيم}

تعد الكعبة الشريفة أول بيت وضعه الله تعالى لعبادة الله، في حين كانت الكثير من الشعوب والأمم القديمة يبنون البيوت لعبادة التماثيل و الأصنام، ، فقد قال **تعالى**: { إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين} وقد وصف **الله تعالى** خواص هذا البيت الحرام و كيف تم بناؤه و تطهيره من الأصنام ، في الآيات التالية من سورة البقرة{ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ◌ وعهدنا إلى◌ إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود (125) "وإذ قال إبراهيم رب اجعل ه◌ذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ◌ قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى◌ عذاب النار ◌ وبئس المصير" (126) "وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا ◌ إنك أنت السميع العليم" (127) "ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم" (128" ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ◌ إنك أنت العزيز الحكيم" (129)} (المرجع الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي ، 1992)

المبحث الرابع: الراجح في أول من بنى الكعبة

وأقرب تلك الأقوال كلها أن **آدم عليه السلام** هو أول من قام ببناء الكعبة المشرفة؛ وذلك لوجود عدة روايات في هذا المعنى، منها ما **رواه البيهقي أيضا بسنده** في السنن الكبرى عن عروة بن الزبير أنه قال: "ما من نبي إلا وقد حج البيت؛ إلا ما كان من هود وصالح، ولقد حجه نوح، فلما كان من الأرض ما كان من الغرق أصاب البيت ما أصاب الأرض، وكان البيت ربوة حمراء، فبعث الله هودا عليه السلام فتشاغل بأمر قومه حتى قبضه الله إليه، فلم يحجه حتى مات، فلما بوأه **الله لإبراهيم عليه السلام** حجه، ثم لم يبق نبي بعده إلا حجه"(إن صح هذا الحديث فإنه يدل على وجود الكعبة في زمن **آدم عليه السلام**؛ إذ إنه أول **الأنبياء عليهم السلام**.)

والسياق القرآني أيضا لا يدل بصراحة على أن **إبراهيم عليه السلام** هو أول من بنى الكعبة بناء تأسيس، وإنما بين أنه رفع قواعد الكعبة مع ابنه **إسماعيل عليه السلام**، ويحتمل هذا أن تكون تلك القواعد قواعد بيت قد بني سابقا ثم اندثر، أو قواعد بيت جديد؛ لذا قال ابن جرير في تفسيره: " والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن إبراهيم خليله أنه وابنه إسماعيل رفعا القواعد من البيت الحرام. وجائز أن يكون ذلك قواعد بيت كان أهبطه مع آدم، فجعله مكان البيت الحرام الذي بمكة. وجائز أن يكون ذلك كان القبة التي ذكرها عطاء مما أنشأه الله من زبد الماء. وجائز أن يكون كان ياقوتة أو درة أهبطا من السماء. وجائز أن يكون كان آدم بناه ثم انهدم حتى رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل. ولا علم عندنا بأي ذلك كان من أي؛ لأن حقيقة ذلك لا تدرك إلا بخبر عن الله وعن **رسوله صلى الله عليه وسلم** بالنقل المستفيض، ولا خبر بذلك تقوم به الحجة فيجب التسليم لها، ولا هو إذ لم يكن به خبر على ما وصفنا مما يدل عليه بالاستدلال والمقاييس فيمثل بغيره، ويستنبط علمه من جهة الاجتهاد، فلا قول في ذلك هو أولى بالصواب ما قلنا. **والله تعالى** أعلم"(الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن)

المبحث الخامس: إصلاح الكعبة قديما وتجديدها :

ذكر أن الكعبة بنيت مرتين ، إحداهما بناء العمالقة بعد **إبراهيم عليه السلام** ، والثانية بناء **جرهم** بعد **العمالقة.**

– قال أبوالقاسم السهيلي: إنما كان ذلك إصلاحا لما وهن منها، لأن السيل قد صدع حائطها، وكانت الكعبة بعد **إبراهيم عليه السلام** مع العمالقة **وجرهم** إلى أن انقرضوا، وخلفتهم فيها قريش بعد استيلائهم على الحرم لكثرتهم بعد القلة وعزهم بعد الذلة.

– وروى الطبراني عن أبي سعيد الخدري مرفوعا :أن أول من جدد الكعبة بعد كلاب بن مرة قصي بن كلاب وهو أحد أجداد **الرسول صلى الله عليه وسلم** وهو أول من سقف الكعبة، حيث قام بسقفها بخشب الدوم وجريد النخيل، وذلك قبل بناء قريش للكعبة بزمن طويل. (وحكى السهيلي) أن أول من اتخذ للكعبة غلقا تبع، ثم ضرب لها عبد المطلب بابا من حديد، وهي الأسياف القلعية التي كانت مع الغزالين الذهب، وهو ما استخرجه عبد المطلب من بئر زمزم كما احتفرها بعد ما طمها الحارث بن مضاض، لما أخرج **الله** جرهم من مكة بسبب إحداثهم في الحرم، واستخفافهم بالحرم، وبغي بعضهم على بعض، فتغور ماء زمزم، وعمد الحارث إلى ما كان عنده من مال الكعبة، وفيه غزلان من ذهب وأسياف قلعية كان ساسان أهداها إلى الكعبة، وقيل سابور، وجاء تحت الليل ودفن ذلك في زمزم وعفى عليها ولم تزل دارسة حتى حفرها عبد المطلب، واستخرج ذلك كما هو مذكور في موضعه. واتخذ عبد المطلب من الغزالين المذكورين حلية للكعبة، فهو أول ذهب حليت به الكعبة، إلى أن جاء الإسلام، بقيت الكعبة على حالها إلى أن أعيد بناؤها على يد قريش في الجاهلية،

الفصل الرابع: ما جاء في ذكر بناء قريش الكعبة في الجاهلية

المبحث الاول: مصدر الخشب الذي بنيت به الكعبة

– قال الأزرقي......... عن داود بن عبد الرحمن العطار، قال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن خيثم القاري، عن أبي الطفيل، قال: قلت: يا خال، حدثني عن بنيان الكعبة، قبل أن بنتها، قريش. قال: " كانت برضم يابس ليس بمدر تنزوه العناق، **وتوضع الكسوة على الجدر ثم تدلى**، ثم إن سفينة للروم أقبلت، حتى إذا كانت بالشعيبة وهي يومئذ ساحل مكة قبل جدة، فانكسرت فسمعت بها قريش، فركبوا إليها وأخذوا خشبها وروميا كان فيها يقال له باقوم نجارا بناء، فلما قدموا به مكة قالوا: لو بنينا بيت ربنا. فاجتمعوا لذلك ونقلوا الحجارة من الضواحي، فبينا **رسول الله صلى الله عليه وسلم** ينقلها معهم إذ انكشفت عورته، فنودي: يا محمد، عورتك فذلك أول ما نودي والله أعلم، فما رؤيت له عورة بعدها، فلما جمعوا الحجارة وهموا بنقضها، خرجت لهم حية سوداء الظهر، بيضاء البطن، لها رأس مثل رأس الجدي، تمنعهم كلما أرادوا هدمها، فلما رأوا ذلك اعتزلوا عند المقام، وهو يومئذ في مكانه اليوم، ثم قالوا: ربنا، أردنا عمارة بيتك. فرأوا طائرا أسود ظهره، أبيض بطنه، أصفر الرجلين، أخذها فجرها حتى أدخلها أجيادا، ثم هدموها وبنوها عشرين ذراعا طولها. قال أبو الطفيل: فاستقصرت قريش لقصر الخشب، فتركوا منها في الحجر ستة أذرع وشبرا "إسناد صحيح

– .... قال لهم الوليد بن المغيرة: يا قوم، ألستم تريدون بهدمها الإصلاح؟ قالوا: بلى. قال: فإن الله لا يهلك المصلحين، ولكن لا تدخلوا في عمارة بيت ربكم إلا من طيب أموالكم، ولا تدخلوا فيه مالا من ربا، ولا مالا

من ميسر، ولا مهر بغي، وجنبوه الخبيث من أموالكم، فإن الله لا يقبل إلا طيبا. ففعلوا، ثم وقفوا عند المقام، فقاموا يدعون ربهم ويقولون: اللهم إن كان لك في هدمها رضا فأتمه واشغل عنا هذا الثعبان. فأقبل طائر من جو السماء كهيئة العقاب، ظهره أسود، وبطنه أبيض، ورجلاه صفراوان، والحية على جدر البيت فاغرة فاها، فأخذ برأسها، ثم طار بها حتى أدخلها أجيادا الصغير، فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله سبحانه وتعالى قد رضي عملكم، وقبل نفقتكم، فاهدموه فهابت قريش هدمه وقالوا: من يبدأ فيهدمه؟ فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم في هدمه، أنا شيخ كبير، فإن أصابني أمر كان قد دنا أجلي، وإن كان غير ذلك لم يرزأني فعلا البيت وفي يده عتلة يهدم بها، فتزعزع من تحت رجله حجر، فقال: اللهم لم ترع، إنما أردنا الإصلاح وجعل يهدمه حجرا حجرا بالعتلة، فهدم يومه ذلك، فقالت قريش: إنا نخاف أن ينزل به العذاب إذا أمسى. فلما أمسى لم تر بأسا، فأصبح الوليد بن المغيرة غاديا على عمله، فهدمت قريش معه، حتى بلغوا الأساس الأول الذي رفع عليه إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت، فأبصروا حجارة كأنها الإبل، الخلف لا يطيق الحجر منها ثلاثون رجلا، يحرك الحجر منها فترتج جوانبها، قد تشبك بعضها ببعض، فأدخل الوليد بن المغيرة عتلته بين الحجرين، فانفلقت منه فلقة عظيمة، فأخذها أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، فنزلت من يده حتى

عادت في مكانها، وطارت من تحتها برقة كادت أن تخطف أبصارهم، ورجفت مكة بأسرها، فلما رأوا ذلك أمسكوا عن أن ينظروا ما تحت ذلك، فلما جمعوا ما أخرجوا من النفقة قلت النفقة عن أن تبلغ لهم عمارة البيت كله، فتشاوروا في ذلك، فأجمع رأيهم على أن يقصروا عن القواعد، ويحجروا ما يقدرون عليه من بناء البيت، ويتركوا بقيته في الحجر، عليه جدار مدار يطوف الناس من ورائه، ففعلوا ذلك وبنوا في بطن الكعبة أساسا يبنون عليه من شق الحجر، وتركوا من ورائه من فناء البيت في الحجر ستة أذرع وشبرا، فبنوا على ذلك، فلما وضعوا أيديهم في بنائها قالوا: ارفعوا بابها من الأرض واكبسوها؛ حتى لا تدخلها السيول، ولا ترقى إلا بسلم، ولا يدخلها إلا من أردتم، إن كرهتم أحدا دفعتموه. ففعلوا ذلك، وبنوها بساف من حجارة، وساف من خشب بين الحجارة، حتى انتهوا إلى موضع الركن، فاختلفوا في وضعه، وكثر الكلام فيه، وتنافسوا في ذلك، فقالت بنو عبد مناف وزهرة: هو في الشق الذي وقع لنا. وقالت تيم ومخزوم: هو في الشق الذي وقع لنا. وقالت سائر القبائل: لم يكن الركن مما استهمنا عليه. فقال أبو أمية بن المغيرة: يا قوم، إنما أردنا البر، ولم نرد الشر، فلا تحاسدوا، ولا تنافسوا، فإنكم إذا اختلفتم تشتتت أموركم، وطمع فيكم غيركم، ولكن حكموا بينكم أول من يطلع عليكم من هذا الفج. قالوا: رضينا وسلمنا. فطلع **رسول الله صلى الله عليه وسلم**، فقالوا: هذا الأمين، قد رضينا به. فحكموه، فبسط رداءه، ثم وضع فيه الركن، فدعا من كل ربع رجلا، فأخذوا بأطراف الثوب، فكان من بني عبد مناف عتبة بن ربيعة ، وكان في الربع الثاني أبو زمعة بن الأسود، وكان أسن القوم، وفي الربع الثالث العاصي بن وائل، وفي الربع الرابع أبو حذيفة بن المغيرة، فرفع القوم الركن، وقام **النبي صلى الله عليه وسلم** على الجدر، ثم وضعه بيده، فذهب رجل من أهل نجد ليناول **النبي صلى الله عليه وسلم** حجرا ليشد به الركن، فقال العباس بن عبد المطلب: لا. فناول العباس **النبي صلى الله عليه وسلم** حجرا، فشد به الركن، فغضب النجدي حيث نحي، فقال النجدي: واعجباه لقوم أهل شرف وعقول وسن وأموال، عمدوا إلى أصغرهم سنا، وأقلهم مالا، فرأسوه عليهم في مكرمتهم وحوزهم، كأنهم خدم له، أما والله ليفوتنهم سبقا، وليقسمن عليهم حظوظا وجدودا. ويقال: إنه إبليس. فبنوا حتى رفعوا أربعة أذرع وشبرا، ثم كبسوها، ووضعوا بابها مرتفعا على هذا الذرع، ورفعوها بمدماك خشب ومدماك حجارة حتى بلغوا السقف، فقال لهم باقوم الرومي: أتحبون أن تجعلوا سقفها مكبسا أو مسطحا؟ فقالوا: بل ابن بيت ربنا مسطحا. قال: فبنوه مسطحا، وجعلوا فيه ست دعائم في صفين، في كل صف ثلاث دعائم من الشق الشامي الذي يلي الحجر إلى الشق اليماني، وجعلوا ارتفاعها من خارجها من الأرض إلى أعلاها ثمانية عشر ذراعا، وكانت قبل ذلك تسعة أذرع، فزادت قريش في ارتفاعها في السماء تسعة أذرع أخر، وبنوها من أعلاها إلى أسفلها بمدماك من حجارة ومدماك من خشب، وكان الخشب خمسة عشر مدماكا، والحجارة ستة عشر مدماكا، وجعلوا ميزابها يسكب في الحجر، وجعلوا درجة من خشب في بطنها في الركن الشامي، يصعد منها إلى ظهرها، وزوقوا سقفها وجدرانها من بطنها ودعائمها، وجعلوا في دعائمها صور الأنبياء، وصور الشجر، وصور الملائكة، فكان فيها صورة إبراهيم خليل الرحمن شيخ يستقسم بالأزلام، وصورة عيسى ابن مريم وأمه، وصورة الملائكة عليهم السلام أجمعين, وجعلوا لها بابا واحدا،فكان يغلق ويفتح، وكانوا قد أخرجوا ما كان في البيت من حلية ومال وقرني الكبش، وجعلوه عند أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، وأخرجوا هبل، وكان على الجب الذي فيه نصبه عمرو بن لحي هنالك، ونصب عند المقام، حتى فرغوا من بناء البيت، فردوا ذلك المال في الجب، وعلقوا فيه الحلية وقرني الكبش، وردوا الجب في مكانه فيما يلي الشق الشامي،ونصبوا هبل على الجب كما كان قبل ذلك، وجعلوا له سلما يصعد عليه إلى بطنها، وكسوها حين فرغوا من بنائها حبرات يمانية (إسناد صحيح)

– وقيل أنه كان ذلك بعد عام الفيل بحوالي ثلاثين عاما، ومن مميزات بنائهم أنهم رفعوا الباب من مستوى المطاف ليدخل الكعبة من أرادوه وسدوا الباب الخلفي المقابل لهذا الباب وسقفوا الكعبة وجعلوا لها ميزابا يسكب مياه الأمطار في الحطيم، ورفعوا بناء الكعبة 8.64 متر بعد أن كان 4.32 متر وقد حضره **النبي صلى الله عليه وسلم** .(وذلك قبل نبوءته)، وكان يبلغ من العمر حينها 35 سنة وشارك بنفسه في العمل.

الفصل الخامس: تجديد بناء الكعبة المشرفة في عهد الإسلام

المبحث الأول: الكعبة المشرفة بعد فتح مكة

– وقال الأزرقي........ فلما كان يوم فتح مكة دخل **رسول الله صلى الله عليه وسلم**، فأرسل الفضل بن العباس بن المطلب، فجاء بماء زمزم، ثم أمر بثوب، وأمر بطمس تلك الصور، فطمست. قال: ووضع كفيه على صورة عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام، وقال: «امحوا جميع الصور إلا ما تحت يدي» فرفع يديه عن عيسى ابن مريم وأمه، ونظر إلى صورة إبراهيم، فقال: «قاتلهم الله، جعلوه يستقسم بالأزلام، ما لإبراهيم وللأزلام» إسناده صحيح

المبحث الثاني: ذكر أمر سدانة الكعبة قبل الإسلام وبعده:

سدانة الكعبة هي مهنة قديمة، وتعني العناية بالكعبة المشرفة والقيام بشؤونها من فتحها وإغلاقها وتنظيفها وغسلها وكسوتها وإصلاح هذه الكسوة إذا تمزقت واستقبال زوارها وكل ما يتعلق بذلك. ومنذ أكثر من 16 قرنا، أي قبل بدء الإسلام، اختص أحفاد قصي بن كلاب بن مرة بسدانة الكعبة المشرفة، ومنهم نسل أبناء آل الشيبي سدنة الكعبة الحاليين.

منذ بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة المشرفة، كانت السدانة بيد ابنه إسماعيل عليه السلام ، الذي تولى رفع القواعد من البيت مع والده إبراهيم عليهما السلام، كما قال تعالى: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) ثم اغتصبها منهم جرهم ، ثم اغتصبها خزاعة، ثم استردها منهم قصي بن كلاب وهو من أبناء إسماعيل، وهو الجد الرابع **للنبي محمد صلى الله عليه وسلم**، ثم صارت من بعده في ولده الأكبر عبد الدار ، ثم صارت في بني عبد الدار جاهلية وإسلاما، ولم تزل السدانة في ذريته حتى انتقلت إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد الله بن عبد العزى بن عثمان ابن عبد الدار بن قصي، منذ أن أعاد لهم **الرسول محمد صلى الله عليه وسلم** مفاتيح الكعبة لهم، وقال: «خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم».

كان عثمان بن طلحة سادن الكعبة، فلما دخل النبي مكة يوم الفتح، فطلب **رسول الله** المفتاح، فجيئ بالمفتاح فتنحى ناحية المسجد فجلس **رسول الله** وقد قبض السقاية وسدانة الكعبة من العباس وأخذ المفتاح من عثمان، فدخل **رسول الله** البيت وصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ليجمع له بين السقاية وسدانة الكعبة، فأنزل **الله** هذه الآية من القران الكريم: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا) (سورة النساء، الآية 58). فلما جلس **رسول الله** قال: « ادعوا إلي عثمان» فدعي له عثمان بن طلحة، (وقيل أن **رسول الله** قال لعثمان وهو يدعوه إلى الإسلام ومع عثمان المفتاح فقال: لعلك سترى هذا المفتاح بيدي أضعه حيث شئت»، فقال عثمان: «لقد هلكت إذا قريش وذلت». فقال رسول **الله محمد (صلى الله عليه وسلم):** «بل عمرت وعزت يومئذ » (قال عثمان: فلما دعاني بعد أخذه المفتاح ذكرت قولة ما كان قال. فأقبلت فاستقبلته ببشر واستقبلني ببشر. ثم قال: « خذوها يا بني أبي طلحة تالدة خالدة لا ينزعها إلا ظالم يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته. فكلوا بالمعروف». قال عثمان: « فلما وليت ناداني فرجعت إليه. فقال: « ألم يكن الذي قلت لك؟» فذكرت قوله لي بمكة فقلت: بلى، أشهد أنك رسول الله " فأعطاه المفتاح. وجرت العادة أن يوضع مفتاح باب الكعبة المشرفة لدى أكبر السدنة سنا، ويسمى السادن الأول، وعند فتح الكعبة يشعر السادن الأول جميع السدنة الكبار منهم، بوقت كاف ليتمكنوا من الحضور جميعا إن أمكن ذلك أو بعضهم ليقوموا بغسلها بمعية ولي الأمر والأمراء.

– للسدانة مصطلحات أخرى مرادفة لها ، والناس تستعمل هذه المصطلحات على السواء، وهذه المصطلحات المرادفة هي ، الحجابة ، والخزانة . وهي في اصطلاح الإسلام : ولاية مخصوصة ، لقوم مخصوصين ، لشيء مخصوص. فالمقصود بالولاية : خدمة الكعبة ، وكسوتها ، وتولي أمرها ، وفتح بابها وإغلاقه ، وهي مقدرة شرعا لأناس مخصوصين.

المبحث الثالث: أول من تولى السدانة وآخر من تولاها

1\ هو قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن نزار بن معد بن عدنان القرشي، 2\ عبد الدار بن قصي....

وكان آخر من تولى السدانة من أسرة الشيبي:

107 \ عدنان أمين الشيبي

108 \ عبد القادر بن طه بن عبد الله بن عبد القادر بن علي بن محمد السابع بن زين العابدين الشيبي توفي في 29 ذوالحجة 1435 هـ

109 \ صالح بن زين العابدين الشيبي (1 محرم 1436 هـ –)1437 (ولا تزال سدانة الكعبة في بنو شيبة حتى الآن).

(المصدر: كتاب تاريخ الكعبة المعظمة) (لحسين عبد الله باسلامه_)

المبحث الرابع: تجديد بناء الكعبة في عهد عبد الله بن الزبير:

– قال أبوالقاسم السهيلي: أنه من بين الاسباب المذكورة في هدم الكعبة المشرفة أن امرأة أرادت أن تجمرها، فطارت شررة من المجمرة في أستارها فاحترقت، وقيل: طارت شررة من جبل أبي قبيس فوقعت في أستار الكعبة فاحترقت، وقيل أصابها من الحريق الذي شب في الكعبة بعد ما رميت بالمنجنيق، أثناء حصار **يزيد** بن معاوية لمكة في نزاعه مع عبد الله بن الزبير،وسبب الحصار هو أن هذا الاخير رفض مبايعة يزيد بن معاوية وثار الزبيريون معه في المدينة فأرسل يزيد جيشا إلى

المدينة بقيادة مسلم بن عقبة،ودخلها ثم إتجه إلى مكة ولكنه توفي قبل أن يصل إليها. وكان خليفته في قيادة الجيش الحصين بن النمير الذي حاصر مكة لفترة،وبالفعل استطاع الحصين أن يسيطر على جبل أبي قبيس وجبل قعيقعان،ثم أخذ يرمي الزبير وأتباعه الذين كانوا متحصنين داخل المسجد بالمنجنيق فأصيب المسجد، ولم يكتف الحصين بذلك بل رمى المسجد بالنار فاحترقت الكعبة،وضعف بنائها،ولكن الحصين عاد إلى الشام بعد أن توفي يزيد.

بعد مبايعة عبد الله بن الزبير خليفة على المسلمين سنة 64 هـ كان أمامه أمران: إما أن يرمم الكعبة أو أن يهدمها ثم يعيد بنائها، فشاورمن حضره في هدمها فهابوا ذلك، وقالوا: نرى أن يصلح ما وهى منها ولا تهدم. فقال: لو أن بيت أحدكم احترق لم يرض له إلا بأكمل إصلاح، ولا يكمل إصلاحها إلا بهدمها، فهدمها حتى أفضي إلى قواعد إبراهيم، فأمرهم أن يزيدوا في الحفر، فحركوا حجرا منها فرأوا لجته نارا وهولا أفزعهم، فبنوا على القواعد.

(وفي الخبر) أنه سترها وقت حفر القواعد، فطاف الناس بتلك الستارة، ولم تخل من طائف، حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير اشتد الحرب، وشغل الناس حينئذ، فلم ير طائف يطوف بها إلا جمل! ثم بناها وألصق بابها بالأرض وعمل لها خلفا، أي بابا من ورائها، وأدخل الحجر فيها، وذلك أن خالته عائشة رضي الله عنها حدثته أن **رسول الله صلى الله عليه وسلم** قال: (ألم تر أن قومك قصرت بهم النفقة حين بنو الكعبة، فاقتصروا على قواعد إبراهيم ثم قال: لولا حدثان قومك بالجاهلية لهدمتها، وجعلت خلفا، وألصقت بابها بالأرض وأدخلت فيها الحجر) فقال ابن الزبير: فليس بنا عجز عن النفقة، فبناها على مقتضى حديث عائشة.

– وحكى أبو الوليد(الأزرقي) أنه لما عزم على هدمها، خرج أهل مكة إلى منى، فأقاموا بها ثلاثا خوفا أن ينزل عليهم عذاب لهدمها، فأمر ابن الزبير بهدمها، فما اجترأ على ذلك أحد، فعلاها بنفسه، وأخذ المعول وجعل يهدمها ويرمي أحجارها، فلما رأوا أنه لا يصيبه شيء صعدوا وهدموا، فلما تم بناؤها خلقها من داخلها وخارجها من أعلاها إلى أسفلها، وكساها القباطي، وقال: من كانت لي عليه طاعة فليخرج فليعتمر من التنعيم، ومن قدر أن ينحر بدنه فليفعل، ومن لم يقدر فليذبح شاة، ومن لم يقدر عليها فليتصدق بوسعه. وخرج ابن الزبير ماشيا وخرج الناس مشاة فاعتمروا من التنعيم شكرا **لله تعالى**، فلم ير يوم أكثر عتيقا وبدنة منحورة وشاة مذبوحة وصدقة من ذلك اليوم، ونحر ابن الزبير مائة بدنة. كما قام ابن الزبير بتوسعة المسجد الحرام، وقد تمت هذه التوسعة في السنة الخامسة والستين هجرية، وضاعفت من مساحة المسجد وبلغت مساحته عشرة آلاف متر مربع.

– قال أبوالقاسم السهيلي: ولما قام عبد الملك بن مروان في الخلافة قال: لسنا من تخليط أبي خبيب بشيء، يعني عبد الله بن الزبير، فقرر التخلص من عدوه ومنافسه عبد الله بن الزبير إلى الأبد، فجهز جيشا ضخما لمنازلة ابن الزبير في مكة، وأمر عليه الحجاج بن يوسف و أمره بالسير إلى مكة للقضاء على ابن الزبير. فخرج بجيشه إلى الطائف، وانتظر الخليفة ليزوده بمزيد من الجيوش، فتوالت الجيوش إليه حتى تقوى تماما، ثم زحف الحجاج إلى مكة في موسم الحج ونصب المجانيق على جبل أبي قبيس وعلى جبل قعيقعان ونواحي مكة كلها، فتحصن ابن الزبير في المسجد وأخذت أحجار المنجنيق تتساقط على المسجد. وبسبب هذا القصف احترقت الكعبة ،فأضطر ابن الزبير إلى الخروج للقتال مع جماعة من أتباعه حتى قتل جميع أتباعه وانتهى الأمر بقتل ابن الزبير،وبعد أن سيطر

الحجاج على مكة كتب إلى الخليفة عبد الملك بن مروان أن أبن الزبير قد زاد في البيت ما ليس فيه وقد أحدث فيه بابا آخر، فكتب إليه عبد الملك» :أن سد بابها الغربي وأهدم ما زاد فيها من الحجر.« فهدم الحجاج الزيادة وحدها، وأعاد الركنين، وسد الباب الغربي وسد ما تحت عتبة الباب الشرقي لارتفاع أربعة اذرع ووضع مصراعان يغلقان الباب. ، وسده بين إلى الآن، وجعل في الحجر من البيت دون سبعة أذرع، وعلامة ذلك في داخل الحجر لوحان مرمر منقوشان متقابلان في الحجر، وصار عرض وجهها – وهو الذي فيه الباب – أربعة وعشرين ذراعا. ولعدم علم الوليد بن عبد الملك بحديث عائشة رضى الله هدمها وأعادها على ما كانت عليه (وهوالموجود الآن ثم جاءه الحارث بن أبي ربيعة المخزومي ومعه رجل آخر، فحدثاه عن عائشة عن **رسول الله صلى الله عليه وسلم** بالحديث المتقدم، فندم وجعل ينكث بمخصرة في يده الأرض ويقول: وددت أني تركت أبا خبيب وما تحمل، وفي عهده كانت عمارة التوسعة الرابعة للمسجد وذلك في سنة 91 هجرية، وذلك بعد سيل جارف أصابها، وقد زاد من مساحة المسجد، وأجمع الكثير من المؤرخين على أن الوليد كان أول من استعمل الأعمدة التي جلبت من مصر والشام في بناء المسجد الحرام،وكان عمل الوليد عملا محكما بأساطين الرخام ، وقد سقفه بالساج وجعل على رؤوس الأساطين الذهب وأزر المسجد من داخله بالرخام، وجعل

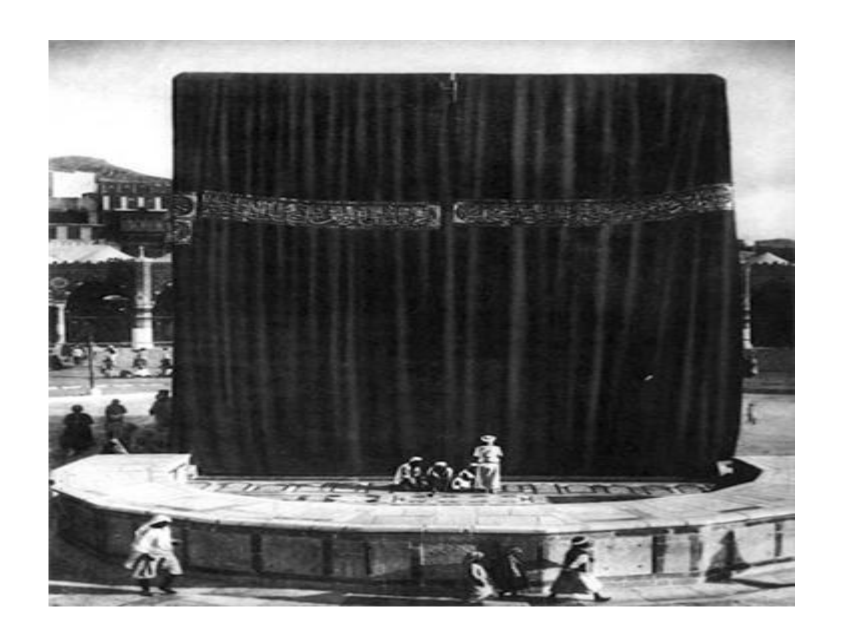
على وجوه الطيقـان الفسيفساء، وشيد الشرفات ليستظل بها المصلون من حرارة الشمس، وقدرت زيادته بـ (2805 (مترا. وبعث إلى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسري بستة وثلاثين ألف دينار، فضرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب، وعلى الميزاب وعلى الأساطين التي في جوفهـا، وعلى الأركان، وهو أول من ذهب البيت في الإسلام.

(وذكرأبوالقاسم السـهيلي) أن الذي عمله الوليد هو مـا كان من مائدة سليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة، حمل إليـه من طليطلة من جزيرة الأندلس وكـانت لها أطواق من زبرجد وياقـوت، وكانت قد احـتملت على بغل قوي فتفسخ تحتها. ثم لما آلت

الخـلافـة إلى الأمين رفع إليـه أن الذهب الذي عـمله الوليـد قـد رق، فـأرسل إلى عامله على ضواحي مكة سـالم بن الجراج بثمانية عشر ألف دينار ليضـربها صفائح على بابـا الكعبة، فقلع مـا كان على الباب من الصفائح وزيد عليهـا ثمانية عشر ألف دينار، وضرب الصفائح والمسامير وحلق الباب والعتبة، فالذي كان عليه من الذهب ثلاثة وثلاثون ألف مثقال. ثم جـدد البـاب الشـريف في أيام الملكيـة الناصرية

(قـال الأزرقي): وعـمل الوليـد بن عبـد الملك الرخـام الأبيض والأخضر والأحـمر في جوفها فوزر بهـا جدرانها وفرشها بالرخام، فجـميع ما في الكعبة من الرخام هو من عمل الوليـد، ثم تقلع غالب ذلك، وغالب ترخيمها وما فيهـا الآن من آثار المظفر يوسف بن عمـرو رسول صاحب اليمن. وفي عهد السلطان أحمد الأول حدث تصدع في جدران الكعبة وكذلك في جدار الحجر، وكان من رأي السلطان أحمد هدم بناء الكعبة وإعادة بنائها من جديد لكن علماء الروم منعوه من ذلك،أما المهندسين فأشاروا عليه بدلا من ذلك بعمل نطاقين من النحاس الأصفر المطلي بالذهب واحد علوي وآخر سفلي،ورغم ذلك لم تصمد الكعبة طويلا وتهدمت جدرانها عقب أمطار غزيرة التي شهدتها مكة المكرمة يوم الأربعاء 19 شعبان 1039 هـ الموافق أبريل 1630م، وتحول هذا المطر إلى سيل عظيم، دخل المسجد الحرام والكعبة، وبلغ منتصفها من الداخل وحمل جميع ما في المسجد من خزائن الكتب والقناديل والبسط وغيرها، وخرب الدور واستخرج الأثاث منها، ومات بسببه خلق كثير. وسقط جدارها الشامي وجزء من الجدارين الشرقي والغربي، وسقطت درجة السطح، لذلك أمر السلطان مراد الرابع العثماني بسرعة عمارتها. وبتجديدها على أيدي مهندسين مصريين في سنة 1040 هـ/1630مـ، وهو البناء الأخير والحالي للكعبة، حيث تم إصلاح وترميم المسجد بأكمله وفرشت أرضه بالحصى، وبدأ العمل في عمارتها يوم الأحد 23جمادى الآخرة سنة 1040 هـ/1630م، وتم الانتهاء من البناء في غرة شهر رمضان من السنة نفسها. وهو البناء الحالي الماثل أمامنا وكل ما حدث بعد ذلك كان عبارة عن ترميمات وإصلاح فقط.

الباب الثاني: تاريخ كساء الكعبة المشرفة





لكسوة الكعبة تاريخ طويل من قبل الإسلام، وحتى وقتنا هذا:

الفصل الأول: كسوة الكعبة قبل الإسلام

المبحث الأول: ذكر أول من كساها واختلاف المصادر في ذلك.

– تعتبر كسوة الكعبة من أهم مظاهر الاهتمام والتشريف والتبجيل للبيت الحرام وإن تاريخ كسوة الكعبة جزء من تاريخ الكعبة نفسها، فعندما رفع **إبراهيم وإسماعيل عليهما أفضل الصلاة والسلام**، قواعد الكعبة المشرفة عاد **إبراهيم** إلى فلسطين. وذكر أيضا أن (عدنان بن إد) الجد الأعلى **للرسول – صلى الله عليه وسلم** – هو أحد من كساها، ولكن الغالب فى الروايات أن (تبع الحميرى) ملك اليمن هو أول من كساها كاملة فى الجاهلية بعد أن زار مكة ودخلها دخول الطائعين،

المبحث الثاني: مسير تبع الثالث إلى مكة شرفها الله تعالى بنية هدما، فكان أول من كساها

– قال الأزرقي..... عن عثمان بن ساج، قال: أخبرني ابن إسحاق، قال: " سار تبع الأول إلى الكعبة، وأراد هدمها وتخريبها، وخزاعة يومئذ تلي البيت وأمر مكة، فقامت خزاعة دونه، وقاتلت عنه أشد القتال حتى رجع، ثم تبع آخر فكذلك. وأما التبابعة الذين أرادوا هدم الكعبة وتخريبها ثلاثة، وقد كان قبل ذلك منهم من يسير في البلاد، فإذا دخل مكة عظم الحرم والبيت، وأما التبع الثالث الذي أراد هدم البيت فإنما كان في أول زمان قريش. قال: وكان سبب خروجه ومسيره إليه؛ أن قوما من هذيل من بني لحيان جاءوه، فقالوا: إن بمكة بيتا تعظمه العرب جميعا، وتفد إليه، وتنحر عنده، وتحجه وتعتمره، وإن قريشا تليه، فقد حازت شرفه وذكره، وأنت أولى أن يكون ذلك البيت وشرفه وذكره لك، فلو سرت إليه وخربته، وبنيت عندك بيتا، ثم صرفت حاج العرب إليه، كنت أحق به منهم. قال: فأجمع المسير إليه "سنده حسن

– قال الأزرقي..... عن سفيان بن عيينة، عن موسى بن عيسى المديني، قال: " لما كان تبع بالدف من جمدان بين أمج وعسفان، دفت بهم دوابهم، وأظلمت الأرض عليهم، فدعا أحبارا كانوا معه من أهل الكتاب، فسألهم، فقالوا: هل هممت لهذا البيت بشيء؟ قال: أردت أن أهدمه قالوا: فانو له خيرا أن تكسوه، وتنحر عنده ففعل، فانجلت عنهم الظلمة وإنما سمي الدف من أجل ذلك،

ثم رجع إلى حديث ابن إسحاق قال: فسار حتى إذا كان بالدف من جمدان بين أمج وعسفان دفت بهم الأرض، وغشيتهم ظلمة شديدة وريح، فدعا أحبارا كانوا معه من أهل الكتاب، فسألهم، فقالوا: هل هممت لهذا البيت بسوء؟ فأخبرهم بما قال له الهذليون، وبما أراد أن يفعل، فقالت الأحبار: والله ما أرادوا إلا هلاكك وهلاك قومك، إن هذا بيت الله الحرام، ولم يرده أحد قط بسوء إلا هلك. قال: فما الحيلة؟ قالوا: تنوي له خيرا أن تعظمه وتكسوه، وتنحر عنده، وتحسن إلى أهله. ففعل، فانجلت عنهم الظلمة، وسكنت الريح، وانطلقت بهم ركابهم ودوابهم، فأمر تبع بالهذليين، فضربت أعناقهم وصلبهم وإنما كانوا فعلوا ذلك حسدا لقريش على ولايتهم البيت. ثم سار تبع حتى قدم مكة، فكانت سلاحه بقعيقعان، فيقال: فبذلك سمي قعيقعان، وكانت خيله بأجياد، ويقال: إنما سميت أجياد أجيادا بجياد خيل تبع، وكانت مطابخه في الشعب الذي يقال له شعب عبد الله بن عامر بن كريز؛ فلذلك سمي الشعب المطابخ، فأقام بمكة أياما، ينحر في كل يوم مائة بدنة، لا يرزأ هو ولا أحد ممن في عسكره منها شيئا، يردها الناس فيأخذون منها حاجتهم، ثم تقع الطير فتأكل، ثم تنتابها السباع إذا أمست، لا يصد عنها شيء من الأشياء إنسان ولا طائر ولا سبع، يفعل ذلك كل يوم مقامه أجمع، ثم كسا البيت كسوة كاملة، كساه العصب، وجعل له بابا يغلق بضبة فارسية. سنده صحيح– قال ابن جريج: كان تبع أول من كسا البيت كسوة كاملة، أري في المنام أن يكسوها فكساها الأنطاع، ثم أري أن يكسوها فكساها الوصائل ثياب حبرة من عصب اليمن، وجعل لها بابا يغلق، ولم يكن يغلق قبل ذلك........... سنده صحيح

قال الأزرقي..... عن ابن أبي مليكة، أنه قال: بلغني أن الكعبة، تكسى في الجاهلية كسا شتى،– كانت البدنة تجلل الحبرة والبرود والأكسية وغير ذلك من عصب اليمن، وكان هذا يهدى للكعبة سوى جلال البدن هدايا من كسا شتى خز وحبرة وأنماط، فيعلق فتكسى

منه الكعبة، ويجعل ما بقي في خزانة الكعبة، فإذا بلي منها شيء أخلف عليها مكانه ثوب آخر، ولا ينزع مما عليها شيء من ذلك، وكان يهدى إليها خلوق ومجمر، وكانت تطيب بذلك في بطنها ومن خارجها "إسناده حسن. .... وقال:كانت قريش في الجاهلية ترافد في كسوة الكعبة، فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها، من عهد قصي بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان يختلف إلى اليمن يتجر بها؛ فأثرى في المال، فقال لقريش: أنا أكسو وحدي الكعبة سنة، وجميع قريش سنة. فكان يفعل ذلك حتى مات، يأتي بالحبرة الجيدة من الجند [ص:252]، فيكسوها الكعبة، فسمته قريش العدل؛ لأنه عدل فعله بفعل قريش كلها، فسموه إلى اليوم العدل، ويقال لولده بنو العدل " إسناده حسن

– أما خلفاؤه فكانوا يكسونها بعده بالجلد والقباطي، وبعد تبع كساها الكثيرون فى الجاهلية، وكانوا يعتبرون ذلك واجبا من الواجبات الدينية، وكانت الكسوة توضع على الكعبة بعضها فوق بعض، فإذا ما ثقلت أو بليت أزيلت عنها وقسمت أو دفنت، حتى آلت الأمور إلى "قصى بن كلاب" الجد الرابع **للرسول –صلى الله عليه وسلم**– والذى قام بتنظيمها، بعد أن جمع قبائل قومه تحت لواء واحد، وعرض على القبائل أن يتعاونوا فيما بينهم كل حسب قدرته فى كسوة الكعبة، وفى غيرها مثل السقاية، وممن انفردن بكسوة الكعبة المشرفة امرأة تسمى نتيلة بنت جناب، زوج عبد المطلب وأم العباس، فقد ضاع ابنها العباس، فنذرت لله أن تكسو الكعبة وحدها إذا عاد إليها ابنها الضائع، فعاد فكانت أول امرأة فى التاريخ كست الكعبة، وحدها. فى عهد **الرسول صل الله عليه وسلم** والخلفاء كان من الطبيعى ألا يشارك **الرسول صلى الله عليه وسلم** فى إكساء الكعبة المشرفة قبل الفتح، وذلك لأن المشركين لم يسمحوا له بهذا الأمر، إلى أن تم فتح مكة، **فأبقى صلى الله عليه وسلم على كسوة الكعبة**، ولم يستبدلها حتى احترقت على يد امرأة تريد تبخيرها. **فكساها الرسول صلى الله عليه وسلم، بالثياب اليمانية**، ثم كساها الخلفاء الراشدون من بعده، أبو بكر وعمر بالقباطى، وعثمان بن عفان بالقباطى والبرود اليمانية. حيث أمر عامله على اليمن "يعلى بن منبه" بصنعها فكان عثمان أول رجل فى الإسلام، يضع على الكعبة كسوتين، أحدهما فوق الأخرى، أما على "رضى الله عنه" فلم يذكر المؤرخون أنه كسا الكعبة، نظرا لانشغاله بالفتن التى حدثت فى عهده، ومن عام الفتح إلى يومنا هذا، انفرد المسلمون بكسوة الكعبة المشرفة .

الفصل الثاني :ذكر كسوة الكعبة في الإسلام وطيبها وخدمها وأول من فعل ذلك

المبحث الأول: كساء الكعبة في عاشوراء

– قال الأزرقي..... عن ابن جريج، قال: «كانت الكعبة فيما مضى إنما تكسى يوم عاشوراء إذا ذهب آخر الحاج، حتى كانت بنو هاشم، فكانوا يعلقون عليها القمص يوم التروية من الديباج؛ لأن يرى الناس ذلك عليها بهاء وجمالا، فإذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الإزار» إسناده حسن

– قال الأزرقي.... عن ابن عيينة، عن إسماعيل بن أمية، عن نافع قال: «كان ابن عمر يكسو بدنه إذا أراد أن يحرم القباطي والحبرة، فإذا كان يوم عرفة ألبسها إياها، فإذا كان يوم النحر نزعها، ثم أرسل بها إلى شيبة بن عثمان فناطها على الكعبة» إسناده صحيح

– قال الأزرقي.... عن ابن أبي نجيح، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كسا الكعبة القباطي من بيت المال، وكان يكتب فيها إلى مصر تحاك له هناك، ثم عثمان من بعده، فلما كان [ص: 254] معاوية بن أبي سفيان كساها كسوتين: كسوة عمر القباطي، وكسوة ديباج، فكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء، وتكسى القباطي في آخر شهر رمضان للفطر، وأجرى لها معاوية وظيفة من الطيب لكل صلاة، وكان يبعث بالطيب والمجمر والخلوق في الموسم وفي رجب، وأخدمها عبيدا بعث بهم إليها، فكانوا يخدمونها، ثم اتبعت ذلك الولاة بعده " إسناده صحيح

– قال الأزرقي.... حدثني جدي قال: " كانت الكعبة تكسى في كل سنة كسوتين: كسوة ديباج، وكسوة قباطي، فأما الديباج فتكساه يوم التروية، فيعلق عليها القميص ويدلى ولا يخاط، فإذا صدر الناس من منى خيط القميص وترك الإزار حتى تذهب الحجاج؛ لئلا يخرقوه، فإذا كان العاشوراء علق عليها الإزار فوصل بالقميص، فلا تزال هذه الكسوة الديباج عليها حتى يوم سبع وعشرين من شهر رمضان، فتكسى القباطي للفطر، فلما كانت خلافة المأمون رفع إليه أن الديباج يبلى ويتخرق قبل أن يبلغ الفطر، ويرقع حتى يسمج، فسأل مباركا الطبري مولاه وهو يومئذ على بريد مكة وصوافيها: في أي الكسوة الكعبة أحسن؟ فقال له: في البياض. فأمر بكسوة من ديباج أبيض فعملت، فعلقت سنة ست ومائتين، وأرسل بها إلى الكعبة، فصارت الكعبة تكسى ثلاث كسا: الديباج الأحمر يوم التروية، وتكسى القباطي يوم هلالجب، وجعلت كسوة الديباج الأبيض التي أحدثها المأمون يوم سبع وعشرين من شهر رمضان للفطر، وهي تكسى إلى اليوم ثلاث كسا. ثم رفع إلى المأمون أيضا أن إزار الديباج الأبيض الذي كساها يتخرق ويبلى في أيام الحج من مس الحجاج ,قبل أن يخاط عليها إزار الديباج الأحمر الذي يخاط في العاشور، فبعث بفضل إزار ديباج أبيض تكساه يوم التروية أو يوم السابع، فيستر به ما تخرق من الإزار الذي كسيته للفطر، إلى أن يخاط عليها إزار الديباج الأحمر في العاشور. ثم رفع إلى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله أن إزار الديباج الأحمر يبلى قبل هلال رجب من مس الناس وتمسحهم بالكعبة، فزادها إزارين مع الإزار الأول، فأذال قميصها الديباج الأحمر وأسبله حتى بلغ الأرض " ثم جعل فوقه في كل شهرين إزارا وذلك في سنة أربعين ومائتين لكسوة سنة إحدى وأربعين ومائتين. ثم نظر الحجبة فإذا الإزار الثاني لا يحتاج إليه؛ فوضع في تابوت الكعبة، وكتبوا إلى أمير المؤمنين أن إزارا واحدا مع ما أذيل من قمصها يجزيها، فصار يبعث بإزار واحد، فتكساه بعد ثلاثة أشهر، ويكون الذيل ثلاثة أشهر.

– قال الأزرقي.... : ثم أمر أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله عز وجل بإذالة القميص القباطي حتى بلغ الشاذروان الذي تحت الكعبة في سنة ثلاث وأربعين ومائتين " إسناده حسن

المبحث الثاني: ما جاء في تجريد الكعبة في صدر الإسلام وأول من جردها

– قال الأزرقي.... عن ابن أبي نجيح، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه «كان ينزع كسوة البيت في كل سنة، فيقسمها على الحاج، فيستظلون بها على السمر بمكة» إسناده صحيح

– قال الأزرقي.... عن ابن أبي مليكة، يقول: كانت على الكعبة كسا كثيرة من كسوة أهل، الجاهلية من الأنطاع والأكسية والكرار والأنماط، فكانت ركاما بعضها فوق بعض، فلما كسيت في الإسلام من بيت المال كان يخفف عنها الشيء بعد الشيء، وكانت تكسى في خلافة عمر وعثمان رضي الله عنهما القباطي يؤتى به من مصر، غير أن عثمان رضي الله عنه كساها سنة برودا يمانية، أمر بعملها عامله على اليمن يعلى بن منبه، فكان أول من ظاهر لها كسوتين، فلما كان معاوية كساها الديباج مع القباطي، فقال شيبة بن عثمان: لو طرح عنها ما عليها من كسا الجاهلية فخفف عنها؛ حتى لا يكون مما مسه المشركون شيء لنجاستهم. فكتب في ذلك إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشام، فكتب إليه أن جردها، وبعث إليه بكسوة من ديباج وقباطي وحبرة. قال: فرأيت شيبة جردها حتى لم يترك عليها شيئا مما كان عليها، وخلق جدراتها كلها وطيبها، ثم كساها تلك الكسوة التي بعث بها معاوية إليها، وقسم الثياب التي كانت عليها على أهل مكة، وكان ابن عباس حاضرا في المسجد الحرام وهم يجردونها. قال: فما رأيته أنكر ذلك ولا كرهه " إسناده حسن

– قال الأزرقي.... عن ابن جريج، عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة، قال: " جرد شيبة بن عثمان الكعبة قبل الحريق، فخلقها وطيبها. قلت: وما تلك الثياب؟ قال: من كل، نحو كرار وأنطاع وخير من ذلك. وكان شيبة يكسو منها، حتى رأى على امرأة حائض من كسوته، فدفنها في بيت حتى هلكت. يعني الثياب "إسناده صحيح

– قال الأزرقي: حدثنا جدي، قال: " حج المهدي أمير المؤمنين سنة ستين ومائة، فرفع إليه أنه قد اجتمع على الكعبة كسوة كثيرة، حتى إنها قد أثقلتها، ويخاف على جدراتها من ثقل الكسوة، فجردها حتى لم يبق عليها من كسوتها شيئا، ثم ضمخها من خارجها بالغالية والمسك والعنبر، وطلى جدراتها كلها من

أسفلها إلى أعلاها من جوانبها كلها، ثم أفرغ عليها ثلاث كسا من قباطي وخز وديباج، والمهدي قاعد على ظهر المسجد مما يلي دار الندوة ينظر إليها وهي تطلى بالغالية وحين كسيت. ثم لم يحرك ولم يخفف عنها من كسوتها شيء حتى كان سنة المائتين، وكثرت الكسوة أيضا عليها جدا، فجردها حسين بن حسن الطالبي في الفتنة، وهو يومئذ قد أخذ مكة ليالي دعت المبيضة إلى أنفسها وأخذوا مكة، فجردها حتى لم يبق عليها من كسوتها شيئا. قال جدي: فاستدرت بجوانبها وهي مجردة، فرأيت جدات الباب الذي كان ابن الزبير جعله في ظهرها، وسده الحجاج بأمر عبد الملك، فرأيت جداته وعتبه على حالها، وعددت حجارته التي سد بها فوجدتها ثمانية وعشرين حجرا في تسعة مداميك، في كل مدماك ثلاثة أحجار، إلا المدماك الأعلى، فإن فيه أربعة أحجار، رأيت الصلة التي بنى الحجاج مما يلي الحجر حين هدم ما زاد ابن الزبير. قال: فرأيت تلك الصلة بينة في الجدر، وهي كالمتبرية من الجدر الآخر. قال إسحاق: ورأيت جدراتها كلون العنبر الأشهب حين جردت في آخر ذي الحجة من سنة ثلاث وستين ومائتين، وأحسبه من تلك الغالية. قال: وكان تجريد الحسين بن الحسن إياها أول يوم من المحرم يوم السبت سنة مائتين، ثم كساها حسين بن الحسن كسوتين من قز رقيق، إحداهما صفراء، والأخرى بيضاء، مكتوب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأخيار، أمر أبو السرايا الأصفر بن الأصفر داعية إلى محمد بعمل هذه الكسوة لبيت الله الحرام " قال أبو الوليد: وابتدأت كسوتها من سنة المائتين، وعدتها إلى سنة أربع وأربعين ومائتين مائة وسبعون ثوبا. قال محمد الخزاعي: وأنا رأيتها وقد عمر الجدر الذي بناه الحجاج مما يلي الحجر، فانفتح من البناء الأول الذي بناه ابن الزبير مقدار نصف إصبع من وجهها ومن دبرها، وقد رهم بالجص الأبيض، وقد رأيتها حين جردت في آخر ذي الحجة سنة ثلاث وستين ومائتين، فرأيت جدراتها كلون العنبر الأشهب من تلك الغالية إسناده صحيح

الفصل الثالث: ذكر أمر كسوة الكعبة إلى الفترة الحالية

والظاهر أن الأمر بقى فى صدر الإسلام كما كان فى الجاهلية، إذ بقيت كسوة المشركين على الكعبة المشرفة حتى فتح مكة، فعن سعيد بن المسيب قال: ولما كان عام الفتح أتت امرأة تجمر الكعبة فاحترقت ثيابها، وكانت كسوة المشركين، فكساها المسلمون بعد ذلك، ومنذ عام الفتح حتى يومنا هذا والمسلمون يتفردون بكسوة الكعبة . ولم يكن للكسوة ترتيب خاص من قبل الدولة وبيت مال المسلمين، فقد كان الناس يكسونها بما تيسر لهم قطعا مفرقة من الثياب، وبدون تقيد بلون خاص، بل حسب ما تيسر لأحدهم، ولو بجزء وناحية من البيت، وكان الناس فى الجاهلية قبل ذلك يتحرون إكساءها يوم عاشوراء، كما جاء عند البخارى وأحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت: كانوا يصومون عاشوراء قبل أن يفرض رمضان، وكان يوما تستر فيه الكعبة، فلما فرض الله رمضان، قال رسول الله: من شاء أن يصومه فليصمه، ومن شاء أن يتركه فليتركه. قال ابن حجر فى فتح البارى، تعليقا على الحديث: "وكان يوما تستر فيه الكعبة"، يفيد أن الجاهلية كانوا يعظمون الكعبة قديما بالستور، ويقومون بها، وروى الأزرقى عن ابن جريج قال: كانت الكعبة فيما مضى إنما تكسى يوم عاشوراء، إذا ذهب آخر الحجاج حتى كان بنو هاشم، فكانوا يعلقون عليها القمص يوم التروية من الديباج، لأن يرى الناس ذلك عليها بهاء وجمالا، فإذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الإزار .

المبحث الأول: كسوة الكعبة فى عهد الخلفاء الراشدين

واستمر الحال عليه فى عهد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين، فكساها أبو بكر الصديق رضى الله عنه القباطى المصرية، ثم فى خلافة عمر رضى الله عنه كساها أيضا القباطى، وأمر أن تكون الكسوة من بيت مال المسلمين، وقد كانت تحاك فى مصر، وسار على سنته سلفه عثمان بن عفان رضى الله عنه، إلا أنه كان أول من قرر للكعبة كسوتين الأولى بالديباج يوم التروية والأخرى بالقباطى يوم السابع والعشرين من رمضان، ولم يؤثر عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه كسا الكعبة، وما كان ذلك تقصيرا منه؛ بل لأنه كان مشغولا بالحرب التى أجبر على خوضها، من أجل ضمان وحدة المسلمين، ومنذ ذلك الحين صارت نفقات الكسوة على الحكومة، إلا فى سنوات معدودات كان يكسوها أفراد من الموسرين، أو من ذوى المناصب الرفيعة، أو حكام بعض الدول الإسلامية.

المبحث الثاني :كسوة الكعبة فى عهد بنى أمية

وفى عهد بنى أمية استمرت كسوة الكعبة من بيت مال المسلمين، وكانت أيضا تكسى مرتين فى السنة، إلا أنه تغير موعد كسائها، فالأولى كانت يوم عاشوراء، والثانية كانت فى آخر رمضان، واستمرت كسوة الكعبة فى عهد العباسيين مرتين فى السنة، حتى عهد الخليفة العباسى المأمون، فقد كسيت الكعبة ثلاث مرات فى

السنة : الأولى بالديباج الأحمر وتكساها يوم التروية، والثانية بالقباطى وتكساها غرة رجب، والثالثة بالديباج الأبيض وتكساها فى السابع والعشرين من رمضان، وبدأت تكسى الكعبة بالديباج الأسود منذ كساها الناصر لدين الله أبو العباس أحمد الخليفة العباسى، واستمرت على لونها هذا إلى يومنا

المبحث الثالث: كسوة الكعبة فى العصر العباسى

اهتم الخلفاء العباسيون بكسوة الكعبة المشرفة اهتماما بالغا، لم يسبقهم إليه أحد، نظرا لتطور النسيج والحياكة والصبغ والتلوين والتطريز، مما جعل الخلف يصل إلى ما لم يصل إليه السلف. لذا بحث العباسيون عن خير بلد تصنع أجود أنواع الحرير، فوجدوا غايتهم فى "مدينة تنيس" المصرية، التى اشتهرت بالمنتجات الثمينة الرائعة، فصنعوا بها الكسوة الفاخرة من الحرير الأسود على أيدى أمهر النساجين، وكانت لها قريتان "تونة وشطا" اشتهرتا أيضا بصنع التطريز، وقد حج المهدى العباسى عام 160هـ، فذكر له سدنة الكعبة أن الكسا، كثرت على الكعبة والبناء ضعيف ويخشى عليه أن يتهدم من كثرة ما عليه، فأمر بتجريدها مما عليها وألا يسدل عليها إلا كسوة واحدة، وهو المتبع إلى الآن، ثم أمر فطلى البيت كله بالخلوق الغالية والمسك والعنبر، وبعد عامين أمر المهدى بصنع كسوة أخرى للكعبة المشرفة فى تنيس بمصر، أما هارون الرشيد فقد أمر بصنع الكسوة من طراز تونة سنة (190هـ) وكانت الكعبة تكسى مرتين. أما الخليفة المأمون (206هـ)، فقد كسا الكعبة المشرفة ثلاث مرات فى السنة، الأولى: من الديباج الأحمر، وتكسى الكعبة بها يوم التروية الثانية: من القباطى وتكسى غرة رجب. الثالثة: من الديباج الأبيض وهذه التى استحدثها المأمون يوم السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك. ولما رفع الأمر للخليفة العباسى جعفر المتوكل، بأن إزار الديباج الأحمر يبلى قبل حلول شهر رجب من مس الناس وتمسحهم بالكعبة، أمر بإزارين آخرين يضافان إلى الإزار الأول، ثم جعل فى كل شهرين إزارا، ثم كساها الناصر العباسى ثوبا أخضر ثم ثوبا أسود، ومن ذلك التاريخ احتفظ باللون الأسود للكسوة إلى يومنا هذا. كما ظهرت الكتابة على كسوة الكعبة المشرفة منذ بداية العصر العباسى، فكان الخلفاء من الأمراء يكتبون أسماءهم على الكسوة ويقرنون بها اسم الجهة التى صنعت بها وتاريخ صنعها، كما هى العادة الجارية إلى اليوم

المبحث الرابع: كسوة الكعبة فى عصر المماليك

بعد سقوط الدولة العباسية عام 656هـ كان أول من كساها من ملوك مصر المملوكية الظاهر بيبرس البندقدارى، واستمرت الكسوة ترد من مصر حينا ومن اليمن حينا آخر، حتى عهد الملك الصالح إسماعيل بن ناصر بن قلاوون، الذى اشترى عام 750هـ ثلاث قرى، هى بيسوس وسندبيس وأبو الغيط، من قرى القليوبية ودفع ثمنها من بيت مال المسلمين، ثم وقفها على كسوة الكعبة المشرفة، ومن الملاحظ أن الكعبة المشرفة كانت تكسى فى العصور الماضية مرة أو مرتين فى السنة، ولكن منذ القرن السادس الهجرى أصبحت تكسى مرة واحدة، وذلك فى صباح يوم النحر من كل عام، ويرجع السبب فى ذلك إلى تطوير فن النسيج، وأصبح قويا من حيث المتانة حتى أنه لا تحتاج الكعبة معه أكثر من كسوة واحدة فى السنة .

المبحث الخامس:كسوة الكعبة فى العصر العثمانى

بعد أن بسط السلطان سليم الأول سيطرته على بلاد الشام، ودخل القاهرة فى شهر محرم 923هـ، ودخل الحجاز سلميا فى حوزة الدولة العثمانية، كان من دواعى فخره واعتزازه أن يلقب نفسه بخادم الحرمين الشريفين، ومن ثم اهتم أثناء إقامته فى مصر بإعداد كسوة الكعبة المشرفة وكسوة لضريح الرسول صلى الله عليه وسلم، وكسوة لمقام إبراهيم عليه السلام كما صنع كسوة للمحمل جديدة، وكتب اسمه عله هذا الكسا التى بلغت غاية الإتقان والزخرفة، ومنذ تلك الآونة ظلت كسوة الكعبة المشرفة ترسل سنويا من مصر من ريع الوقف الذى وقفه الملك الصالح إسماعيل، إلى أن كان عهد السلطان سليمان القانونى، فوجد أن ريع هذا الوقف قد ضعف وعجز عن الوفاء، فأمر بشراء سبع قرى إضافة إلى الثلاث السابقة عام 947هـ، لتصبح عشر قرى، ينفق من ريعها على الكسوة الشريفة، فأصبح وقفا عامرا فائقا مستمرا. وذلك من أعظم مزايا السلاطين العثمانيين لأن مكة كانت لها مكانة، خاصة فى نفوسهم، فكانوا ينتهزون أى فرصة للتعبير عن محبتهم واحترامهم للأمراء وأهل مكة، بوصفهم منتسبين إلى آل البيت، استمرت مصر فى إرسال الكسوة والمحمل إلى مكة المكرمة حتى عام 1221هـ، إلا أنه فى العام الثانى، كان المد السعودى على مكة المكرمة فى عهد الإمام سعود الكبير، فتقابل مع أمير المحمل المصرى وأنكر عليه البدع، التى تصحب المحمل من طبل وزمر وخلافه، وحذره من معاودة المجيء إلى الحج بهذه الصورة، فتوقفت مصر عن إرسال الكسوة الخارجية، فكساها الأمير سعود الكبير كسوة من القز الأحمر، ثم كساها بعد ذلك بالديباج والقيلان الأسود، من

غير كتابة، وجعل إزارها وكسوة بابها "البرقع" من الحرير الأحمر المطرز بالذهب والفضة. وبعد سقوط الدرعية على يد جنود محمد على باشا، وعودة السيادة العثمانية على الحجاز استأنفت مصر إرسال الكسوة فى عام 1228هـ، فى إطار جديد، وهو الصرف على شئون الكسوة من الخزانة المصرية مباشرة بعد أن كان ينفق عليها من أوقاف الحرمين الشريفين، ولكن الخديوى محمد على باشا حل ذلك الوقف، وادخل إيراداته الخزانة المصرية، وقد ترتب على ذلك أن أصبحت الظروف السياسية وطبيعة العلاقات مع حكومة مصر والسلطات الحاكمة فى الحجاز تؤثران إلى حد كبير فى إرسال الكسوة من مصر أو توقفها .

المبحث السادس: كسوة الكعبة من مصر

صورة قديمة للاحتفال بكسوة الكعبة المشرفة



ثم أصبح ملوك اليمن وملوك مصر يتعاقبون على كسوة الكعبة حتى تفردت مصر بكسوتها، فقد كانت تأتى من مصر من مال الوقف الذى وقفه الملك الناصر ابن قلاوون على الكسوة منذ سنة (750هـ)، ثم صارت بعد ذلك ترسل من قبل الحكومة المصرية، وكلما وقع خلاف بين الحكومة المصرية وبين الحكومة التى تتولى أمر الحجاز امتنعت الحكومة المصرية من إرسال الكسوة، حصل ذلك عدة مرات قبل تولى الملك عبد العزيز رحمه الله الحكم فى الحجاز، وبعد توليه الحكم رحمه الله وفى سنة 1344هـ حدثت حادثة المحمل المصرى المشهورة حيث امتنعت مصر عن إرسال الكسوة فى سنة 1345هـ، شعرت بذلك الحكومة السعودية فى غرة شهر ذى الحجة، فصدر الأمر الملكى الكريم بعمل كسوة الكعبة المشرفة لهذه السنة بأسرع ما يمكن وفى أيام معدودة؛ حتى يتم إكساء الكعبة فى العاشر من ذى الحجة، وبالفعل تم ذلك، وكانت البداية لصنع الكسوة فى مكة المكرمة فى العهد السعودى .

الفصل الرابع : كسوة الكعبة فى العهد السعودى الأنور



المبحث الأول: أنتقال صناعة كسوة الكعبة المشرفة من مصر إلى السعودية

ظلت كسوة الكعبة المشرفة ترسل من مصر عبر القرون، باستثناء فترات زمنية قصيرة ولأسباب سياسية، إلى أن توقف إرسالها نهائيا من مصر سنة 1381هـ. حيث اختصت المملكة العربية السعودية بصناعة كسوة الكعبة المشرفة إلى يومنا هذا، والجدير بالذكر أن اهتمامها بصناعة الكسوة يرجع إلى ما قبل عام 1381هـ أى منذ عام 1345هـ، وذلك حين توقفت مصر عن إرسال الكسوة بعد حادثة المحمل الشهيرة فى العام السابق 1344هـ. فلما كان عام 1345هـ، وحان وقت مجيء الكسوة الشريفة من مصر، منعت الحكومة المصرية إرسال الكسوة المعتادة للكعبة المعظمة مع عموم العوائد مثل الحنطة والصرور وما شاكل ذلك، التى هى من أوقاف أصحاب الخير إلى أهل الحرمين منذ مئات السنين. ولم تملك منها الحكومة المصرية شيئا سوى النظارة عليها لأنها الحاكمة على البلاد، ولم تشعر الحكومة السعودية بذلك إلا فى غرة ذى الحجة من السنة المذكورة، عندئذ أمر الملك عبد العزيز آل سعود بعمل كسوة للكعبة المشرفة، بغاية السرعة. وعملت كسوة من الجوخ الأسود الفاخر مبطنة بالقلع القوي، ولم يأت اليوم الموعود لكسوة الكعبة المشرفة، وهو يوم النحر العاشر من ذى الحجة من عام 1345هـ، إلا والكعبة المعظمة قد ألبست تلك الكسوة التى عملت فى بضعة أيام. وفى مستهل شهر محرم 1346هـ، أصدر الملك عبد العزيز، أوامره بإنشاء دار خاصة بصناعة الكسوة، وأنشئت تلك الدار بمحلة أجياد أمام دار وزارة المالية العمومية بمكة المكرمة، تمت عمارتها فى نحو الستة الأشهر الأولى من عام 1346هـ، فكانت هذه الدار أول مؤسسة خصصت لحياكة كسوة الكعبة المشرفة بالحجاز منذ كسيت الكعبة فى العصر الجاهلى إلى العصر الحالى. وأثناء سير العمل فى بناء الدار كانت الحكومة السعودية تقوم من جانب آخر، ببذل الجهود لتوفير الإمكانيات اللازمة للبدء فى وضع الكسوة والتى تتألف من المواد الخام اللازمة لصنع الكسوة من حرير ومواد الصباغة، ومن الأنوال التى ينسج عليها القماش اللازم لصنع الكسوة، وقبل كل ذلك، وبعده الفنيين اللازمين للعمل فى شتى المراحل، وعلى الرغم من أن هذه العناصر الأساسية التى يجب توفرها لصنع الكسوة، لم يكن أى منها متوفرا لدى المملكة حين ذلك، فقد بذلت الحكومة السعودية جهودا كبيرة فى سبيل توفيرها فى الوقت المناسب، وقد تحقق

لها ذلك، حيث تم بناء المصنع الجديد من طابق واحد فى ستة أشهر. وفى أول رجب من نفس العام 1346هـ، وصل من الهند إلى مكة المكرمة اثنا عشر نولا يدويا، وأصناف الحرير المطلوبة ومواد الصباغة اللازمة بذلك والعمال والفنيون اللازمون وكان عددهم ستين عاملا، أربعون منهم من "المعلمين "الذين يجيدون فن التطريز على الأقمشة، وعشرون من العمال المساعدين، وعند حضورهم إلى مكة المكرمة نصبت الأنوال، ووزعت الأعمال وسار العمل على قدم وساق فى صنع الكسوة وتطريزها، حتى تمكنوا من إنجازها فى نهاية شهر ذى القعدة عام 1346هـ، والجدير بالذكر أن تلك الكسوة صنعت على غرار الكسوة المصرية، فكانت على أحسن صورة من حسن الحياكة وإتقان الصنع وإبداع التطريز، يزينها الحرير الأسود الذى نقشت عليه "لا إله إلا الله محمد رسول الله "على شكل رقم (8)، وفى أسفل التجويف (يا الله)، وفى الضلع الأيمن من أعلى الرقم (8) (جل جلاله)، وكذلك فى أعلى الضلع الأيسر (جل جلاله)، أما الحزام فكان عرضه مثل عرض الحزام الذى كان يعمل فى مصر، مطرزا بالقصب الفضى المموه بالذهب، أما تلك الكتابات التى كتبت على الحزام فهى نفس الآيات القرآنية التى كانت تكتب على حزام الكسوة المصرية فى جميع جهاتها باستثناء الجهة الشمالية المقابلة لحجر إسماعيل عليه السلام، حيث كتب على الحزام من تلك الجهة، العبارة التالية "هذه الكسوة صنعت فى مكة المباركة المعظمة بأمر خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية". وأما البرقع "ستارة باب الكعبة المشرفة" فقد صنع أيضا على غرار البرقع المصرى وكتبت عليه نفس الآيات القرآنية والعبارات التى كانت تكتب على برقع الكسوة المصرية، باستثناء المستطيلات الأربعة التى تتوسط البرقع، والتى كان يكتب عليها عبارة الإهداء فى الكسوة المصرية، حيث استبدل بها قوله تعالى: "وقل جاء الحق وزهق البطل إن البطل كان زهوقا" — "وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا" (سورة الإسراء: 81–82)، ثم أضيفت فى ذيل البرقع دائرتان صغيرتان مكتوب فى داخلهما عبارة: "صنع بمكة المكرمة". وقد كسيت الكعبة المشرفة فى ذلك العام 1346هـ، بهذه الكسوة التى تعتبر أول كسوة للكعبة تصنع فى مكة المكرمة، وظلت دار الكسوة بأجياد تقوم بصناعة الكسوة الشريفة منذ تشغيلها فى عام 1346هـ، واستمرت فى صناعتها حتى عام 1358هـ، ثم أغلقت الدار، وعادت مصر بعد الاتفاق مع الحكومة السعودية إلى فتح أبواب صناعة الكسوة بالقاهرة سنة 1358هـ، وأخذت ترسل الكسوة إلى مكة المكرمة سنويا حتى عام 1381هـ. ولاختلاف وجهات النظر السياسية بين مصر والدولة السعودية، توقفت مصر عن إرسال الكسوة الشريفة منذ ذلك التاريخ. وقامت الدولة السعودية بإعادة فتح وتشغيل مبنى تابع لوزارة المالية بحى جرول، يقع أمام وزارة الحج والأوقاف سابقا، والذى أسندت إليه إدارة المصنع، ولم يكن لديها وقت لبناء مصنع حديث. وقد ظل هذا المصنع يقوم بصنع الكسوة الشريفة إلى عام 1397هـ، حيث نقل العمل فى الكسوة إلى المصنع الجديد، الذى تم بناؤه فى أم الجود بمكة المكرمة، وما زالت الكسوة الشريفة تصنع به إلى يومنا هذا .

<u>المبحث الثاني: مصنع صناعة كسوة الكعبة المشرفة الجديد</u>



في عام ١٣٤٦هـ افتتح مصنع الكسوة بمكة المكرمة

الثوب الواحد يستهلك (٥٤٠) كيلو جراما من الحرير الطبيعي



مصنع كسوة الكعبة المشرفة هو من معالم ورموز الخدمات المميزة لملكة الحرمين الشريفين ، والتي تحظى بالاحترام ، والتي تنافس على شرف صناعة كسوة الكعبة منذ العصور القديمة والحديثة.

في 1 يوليو عام 1927 ، أمر الملك عبدالعزيز بناء مصنع خاص متخصص في تصنيع الكسوة في حي أجياد في مكة المكرمة . هذا المصنع ، الذي تم بناؤه على مساحة 1،500 متر مربع ، وكان الأول من نوعه في مكة المكرمة . في عام 1962 ، أمر الملك سعود بتصنيع الكسوة لأن تقام في مكة المكرمة . في وقت لاحق من عام 1977 ، تم افتتاح مصنع الكسوة الجديد في أم الجود في مكة المكرمة في عهد الملك خالد ، على الرغم من وضع حجر الاساس اثناء عهد الملك فيصل . هذا المصنع الجديد يضم الإدارات المخصصة لمختلف العمليات المشتركة في تصنيع الكسوة ، بما في ذلك الصباغة والنسيج والحرير ، والتطريز والنقوش التي تزين الكسوة ، وتجميع أجزاء مختلفة من الكسوة.

صنعت أول كسوة للكعبة المشرفة في مكة المكرمة ، عندما أمر الملك عبد العزيز آل سعود بإنشاء دار للكسوة بجانب البيت القديم الذي اقره في مراحل متتالية من التطوير والتحديث ، حتى أصبح معلما في المملكة.

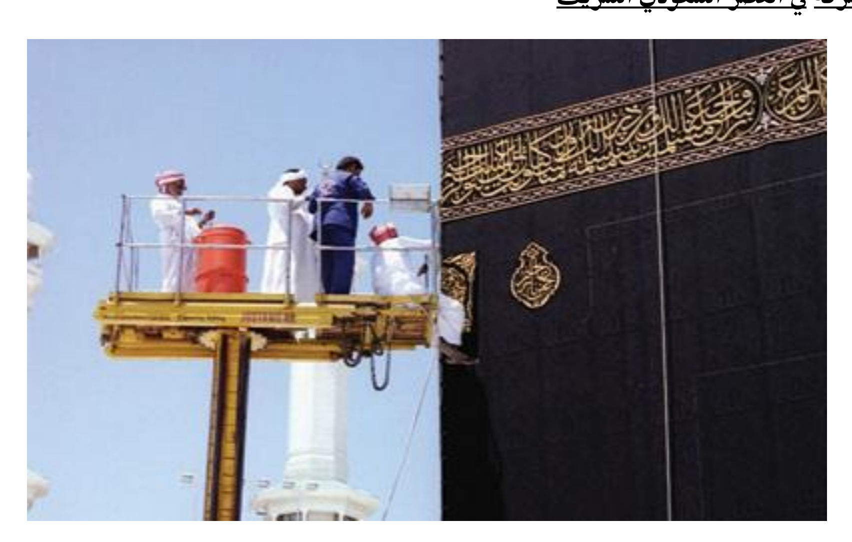
يتم تمرير كسوة الكعبة المشرفة بعدة مراحل ، منها : الغسل ، ثم صبغ الثوب الأسود للكعبة من الخارج واللون الأخضر للكسوة الداخلية ، ومن ثم اضافة الحرير للقسم الآلي ، ثم الانتقال إلى قسم المختبر لمطابقة سلاسل من المواصفات ، وبعد قسم الطباعة ، يتم تقسيم الحزام ، ومن ثم تجميع الكسوة والخياطة ، ويتم تسليمها في النهاية لوضعها في بيت الله في الأول من ذي الحجة من كل عام ، مشيرا إلى أنه في اليوم التاسع من ذي الحجة يسافر فريق إلى المسجد الحرام لاستبدال اللباس القديم بالجديد.

يستغرق صناعة كسوة الكعبة المشرفة حوالي ثمانية أشهر من العمل المتواصل ، وبتكلفة إجمالية تقدر بنحو 22 مليون ريال ، أما بالنسبة لعدد موظفي المصنع فيبلغ حوالي (200) عامل ، وفي القسم أكثر من (70) عامل ، يضم المصنع لأكبر آلة خياطة في العالم – والتي تمتد لحوالي 15 مترا – والتي تعمل على تجميع طاقات القماش وتطبيق التحكم الآلي.

<u>المبحث الثالث : مراحل صناعة كسوة الكعبة</u>

اختيار أجود أنواع أقمشة الحرير سواء الإيطالية أو السويسري ثم غسيلها ، حيث يتم إزالته طبقة من الشمع من على الحرير ، ثم يبدأ صباغة الثوب باللون الأسود للكعبة من الخارج واللون الأخضر ليتم ضخ كسوة الداخلية ، ومن ثم اضافة الحرير على القسم الآلي ثم إلى القسم الأخير هو عبارة عن تجميع الكسوة والخياطة ، وأخيرا تقديمها هدية لخادم الحرمين الشريفين في احتفال كبير في أول ذي الحجة من كل عام ، وبذلك يستغرق الثوب الواحد حوالي (670 كجم من الحرير الخام)

<u>المبحث الرابع : كسوة الكعبة المشرفة في العصر السعودي الشريف</u>



في اليوم التاسع من ذي الحجة ينتقل الفريق الى المسجد الحرام إلى استبدال اللباس القديم إلى اللباس الجديد ، والذي يتكون من أربعة جوانب متفرقة وستارة للباب ، حيث يتم رفع كل جانب من جوانب الكعبة الأربعة على حدة إلى أعلى الكعبة المشرفة ، تمهيدا لإعادة ذلك الجانب القديم ، ويتم تثبيت الجانب من أعلى ربط العراوي ، وإسقاط الطرف الآخر من الجانب بعد أن يتم حل حبال الجنب القديم ، بتحريك الجنب الجديد صعودا وهبوطا في الحركة الدائمة ، ثم يسقط على الجانب القديم من أسفل ويبقى الجديد ، ويتم تكرار العملية في كل الجوانب ، حتى يتم الانتهاء من عملية خلع الكسوة والباس الكعبة للكسوة الجديدة.

المبحث الخامس: الذهب والفضة في صناعة الكسوة

يستهلك الثوب الواحد حوالي (120) كم لسلسلة من الذهب و 100 كيلو من الفضة ، ويتم جلبه من إيطاليا ، مع وضع تكييف الهواء ، والرطوبة ، والإضاءة ، والذي يتم اختياره على نحو دقيق جدا.

بطبيعة الحال ، إن الآيات مكتوبة على ثوب الكعبة المشرفة ترجع إلى كتابه الشيخ عبد الرحيم أمين بخاري "– رحمه الله عليه – بخط يده ، وما زال حتى العصر الحاضر ، على الكتابة على كسوة الكعبة المشرفة منذ عهد الملك عبد العزيز آل سعود – رحمه الله – ولا يمكن أن تتغير الآيات المكتوبة. يقبل الزوار إلى مكة المكرمة في شهر رمضان ، لتطلعهم إلى معرفة كل شيء مرتبط بالحرم المكي . مصنع كسوة الكعبة المشرفة هو احد الأماكن الهامة الذي يقبل عليها الزوار بشكل منتظم للتعرف على طريقة صناعة رداء قبلة المسلمين.

زوار مصنع الشاهد من جنسيات مختلفة على مدار السنة:



، حيث يقبل في المعدل اليومي 130 زائرا ، وقد يرتفع هذا العدد في الأشهر والمواسم ، والعطلات مثل رمضان والحج ، ليتجاوز 50 ألف زائر سنويا.

في زوايا قسم النسيج الآلي يتجول الزائر إلى آلات المصانع بين فنون العالم التي صنعت خصيصا لكسوة الكعبة ، والتي تنتج الملابس الخارجية من البيت القديم ، والمصنوعة من الحرير الأسود المنحوت. (تحرير: أسماء سعد الدين)

الخاتمة

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم

فهرس الكتاب